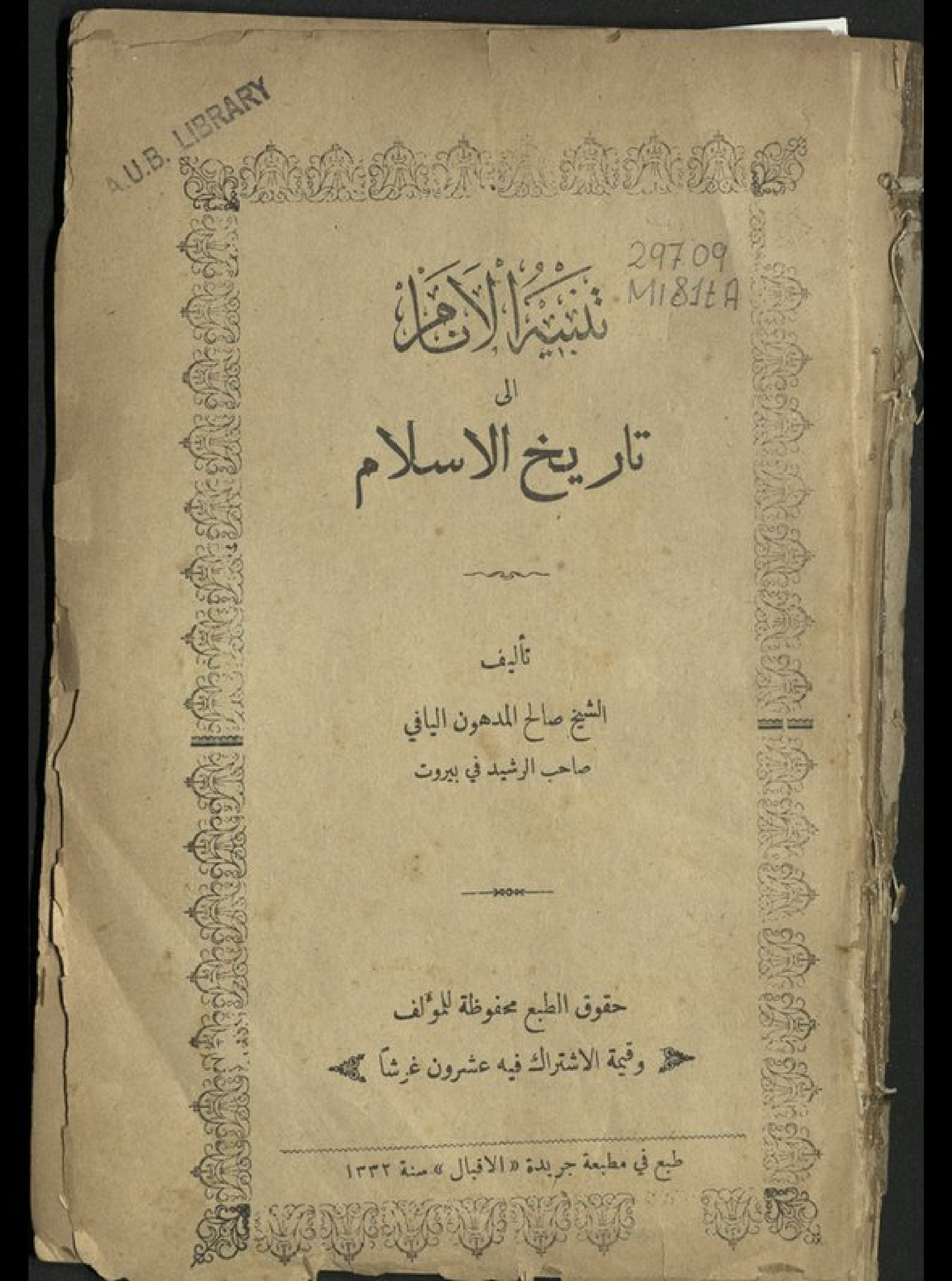


A.U.B. LIBRARY

297.09
M181tA

تنبيه الأنام

الى

تاريخ الاسلام

تأليف

الشيخ صالح المدهون اليافي

صاحب الرشيد في بيروت

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

وقيمة الاشتراك فيه عشرون غرشاً

طبع في مطبعة جريدة «الاقبال» سنة ١٣٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

احمد الله مالك الممالك واصلي واسلم عَلَى رسوله الهادى لأقوم المسالك سيدنا محمد الذى افرغ الله عليه جميع الكمالات وجمله بانواع الفضائل وزينه بجميل الصفات وعَلَى اهله الاقربين وصحابته اجمعين اهل الشيم والهمم وقادة العلاء والعظم قد فتحوا البلاد بسيف العدل وقلم الحلم والسداد واعلوا كلمة الحق عَلَى الاباطيل وقوضوا دعائم الجور والاضاليل وطردوا عن النفوس شياطين الاوهام وطهروها من غاشيات الاحلام وسلم تسليما « اما بعد » فان مما يتحلى به ويفتخر ويتزين به ويدخر علم التاريخ والاثر فهو اعظم عبرة لمن اعتبر واحسن عظة لمن تنبه وتفكر لان من درس وقائع الايام واعمال الرجال يكون كانما كان معهم وشاهد منهم الافعال وسمع منهم الاقوال فيستنبط الحكم من الاعمال الماضية ويجعلها نبراساً لاعماله الاتية وله فوائد لا تحصى ولا يمكن ان تستقصى ترغب الانسان عَلَى التحلى بمكارم الاخلاق ومحاسن الفضائل والتخلى عن الخصائل المذمومة وكل فعل سافل وان من احسن هذا العلم ذكرا ومن اعظمه شرفاً وقدراً تاريخ الاسلام لاشتماله عَلَى سيرة سيد الانام وخلفائه الكرام والتابعين وتابع التابعين وكل من له قدم صدق من الملوك والسلاطين وذكر الرجال العظام والعلماء الاعلام وجميع من وجد لهم عمل يذكر واثر يشكر وقد وضعت من مدة ثلاث سنوات كتاباً في هذا الموضوع للعوام سميته تنبيه الانام الى تاريخ الاسلام ذكرت فيه ما للسلف الصالح من الفتوحات والاعمال الصالحات وتكلمت فيه عن كل بطل

مقدام من مشاهير رجال الاسلام ما يناسب ذلك المقام فجاء كتاباً وافياً بالمرام بديعاً في هذا الباب تحلو مطالعته عند اولي الالباب لسلامة عباراته ولطافة اشاراته ثم لما هيأته للوضع ومثلته للطبع اضطررت الى اختصاره فاختصرته وحررته ونقحته وما كان ضروريا اثبته وما كان غير ضروري حذفته ولم يكد ينتشر الى عالم المطبوعات حتى كثر طلبه الى سائر الجهات فطبع منه في المرة الاولى ثلاثة آلاف نسخة صرفت جميعها باقل من سنة ثم تكرر طبعه وطبع منه في المرة الثانية خمسة آلاف نسخة نفدت جميعها ولم يبق منه شيء على ما اعلم وهذا لا يخفى هو اعظم دليل على نفعه وجودة وضعه ثم اشار علَيَّ العلم الشهير والعالم النحرير ناظر المعارف السابق امر الله افندى بان اصدره في الطبعة الثالثة بشيء من تاريخ الانبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام مع توسعته نوعا ما بعد ان مدحه لي ولا سيما عند الكلام على ملوك بني عثمان حتى يكون كتاباً مدرسياً يحتاجه كل طالب ولا تستغني عنه تلامذة المكاتب و يكون قد حوى تاريخ الانبياء وتاريخ الاسلام و بني عثمان ثم اطلعته علَى اصله فراق لديه واشار اليَّ بالتعويل عليه فاستخرت الله في ذلك وها اني ابرزته للوجود مستمداً من عناية مفيض الكرم والجود رمتوسلا بحرمة حبيبه الاعظم صلى الله عليه وسلم بان يرزقه القبول من فضله الجزيل وهو حسبي ونعم الوكيل

﴿ مبدأ التكوين ﴾

قد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى وارادته بخلق هذا الكون وابداعه علَى اتم شكل وابدع انتظام فبدأ التكوين بخلق الارض فخلقها في يومين ثم اتم خلقها في يومين فقد قال علماء التاريخ ان الله خلق الارض في يومين وعينوا هذين اليومين فقالوا انهما الاحد والاثنين واتم خلقهما في الثلاثا والاربعا الا ان تعيين الايام لم يرد به نص صريح في الكتاب المجيد فقال تعالى « قل أإنكم لتكفرون

بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين » ثم خلق الله السماوات في يومين كما قال في القرآن المبين « فقضاهن سبع سماوات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » لكن فما الحكمة فى تقييد خلقهما في ستة ايام وضبطهما وتخصيصهما بهذا العدد بعد قوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح البصر فالجواب عن هذا السوءال ان الشيء اذا احدث دفعة واحدة ثم انقطع طريق الاحداث فلعله يخطر ببال البعض ان هذا الشيء وقع صدفة على سبيل الاتفاق اما اذا حدثت الاشياء على التعاقب والفواصل مع كونها مطابقة للمصلحة والحكمة كان ذلك اقوى في الدلالة على كونها واقعة باحداث محدث قديم حكيم وقادر مدبر

﴿ خلق آدم عليه السلام ﴾

ثم خلق الله آدم عليه الصلات والسلام واوحى الى الملائكة قبل خلقه فقال لهم « اني جاعل في الارض خليفة » يعنى اني اريد ان احدث في الكون امراً واخلق خلقا واجعل لهم خليفة يقيم الحدود وينفذ القضايا . علمنا الله سبحانه وتعالى كيفية المشورة في هذه الآية علمنا ان الآمر وان علت مرتبته وسمت منزلته فلا يجوز ان يحدث امرا ما الا بعد مشاورة المقربين لديه . وماذا كان جواب الملائكة على هذا الامر الالهى كان جوابهم بان قالوا « اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » علمنا هذا الجواب ان الآمر اذا شاور المقربين لديه على امر وكان هذا الآمر مستهجنا او مضراً ان يسألوه عن الحكمة في احداثه وماذا يريد منه وان يبين الآمر لهم حكمته فيه وما كل ذلك الا تعليماً لنا وارشاداً الى قاعدة الشورى فانها هي الاسس لعمران المملكة والركن المتين لتوطيد دعائم الامر ثم قال لهم الله « اني اعلم ما لا تعلمون » يعني انني اعلم من وجوه المصلحة والحكمة ما لا

تعلمون وما خفي عليكم الان فخلق الله تعالى آدم من جميع اجناس تراب الارض فجاء بنوه منهم الاحمر والابيض والاسود والسهل والحزن والخبيث والطيب ومن ذلك سمي آدم لانه خلق من اديم الارض وكنية آدم «ابو محمد»

ثم ان الله تعالى امر الملائكه بالسجود لادم فسجدوا سجود تعظيم وتحية الا ابليس ابى عن السجود وتكبر . وقد قال بعضهم ان ابليس ابو الجن ولم يكن من الملائكه وقيل انه كان من الملائكة بدليل الاستثناء وعدم سجوده كان كبرا وانفة فقال كيف اسجد لمن انا خير منه حيث خلقت من نار وخلق من طين فغضب الله عليه وطرده من رحمته ولم يزل مطروداً الى يوم القيمة وقد خلق الله سبحانه ادم باكمل صورة واتقن شكل وميزه على سائر المخلوقات بالنطق واعطاه العقل وعلمه الاسماء كلها واباح له الجنة عرضاً وطولا يتنعم فيها ما يشاء ويأكل من ثمارها ما يشاء الا انه تعالى نهاه عن الاكل من شجرة سماها الخلد وخصصها له وفي ذلك حكمة المية فسبحان من اتقن صنع هذا الوجود وهو الله الواحد القهار ثم لما كان من سنن هذا الوجود ان لا يمكن ان يعيش هذا الانسان وحيداً منفرداً بلا انيس من جنسه ولا جليس هذا من جهة وعلة خلقه لاجل تكثير الذرية وعمارة هذا الكون من جهة اخرى فكان لا يتأتى ذلك الا بخلق انثي ليسكن اليها حتى تتم النتيجة فخلق الله له حواء من ضلعه الايسر فلما اصبح السيد آدم ورآها جالسة على جانبه ففرح برؤيتها وانس بوجودها وصفت لهما المعيشة في الجنة فزوجه الله بها واسكنهما الجنة

الجنة

قد اختلف العلماء في هذه الجنة التي سكنها آدم وزوجته وهل هي دار الجزاء يعنى جنة الاخرة ام هي جنة مخصوصة اعدها الله لهما في الارض لان الجنة التي اعدت للمتقين لا تكليف فيها ولا خروج منها على ان الجنة التي اعدت

للمتقين ستحل محل هذه الدنيا بدليل قوله تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقول الامام مالك حين سأله بعض الكافرين عن قوله تعالى (وجنة عرضها السموات والارض) فقال السائل اذا كان عرضها كعرض السموات والارض فكيف يكون طولها والعادة دائماً ان يكون طول الشيء اكبر من عرضه واذا كانت كذلك فاين هي الان حيث ان عرضها كعرض السموات والارض. فاجابه الامام مالك رضى الله تعالى عنه بجواب شاف يدل علىَ ان الجنة التى اعدت للمتقين التي هي مقصودنا هي الان غير بارزة والجواب قوله (اذا جاء الليل فاين يذهب النهار واذا جاء النهار فاين يذهب الليل) فلا يخفى ان الجنة ستحل محل هذا الوجود الذى نحن نراه الان ويتحول هذا الوجود الى جنة ونار وقد ورد احاديث كثيرة الى ان جنة الاخرة ستقام من اعمال المكلفين كقوله عليه الصلاة والسلام ان الجنة عذبة الماء طيبة التربة وانها قيعان وغراسها « سبحان الله » « والحمد لله » « ولا اله الا الله » « والله اكبر » فمن قال سبحان الله مثلا غرست له شجرة في الجنة وقالت طائفة من العلماء انها موجودة واستدلوا علىَ ذلك باحاديث واخبار كثيرة والله تعالى اعلم

خروج آدم وزوجته من الجنة

سببه ان الشيطان سول لهما الاكل من الشجرة التى نهيا عنها ودلهما علىَ شجرة من جنس المنهى عنها وحلف لهما باعظم الايمان انه لهما ناصح امين وانكما لو اكلتما منها لتكونان في ارغد عيش واهنأ بال وان النهي ليس بنهي تحريم وغير ذلك من الحيل والغرور حتى اغترا في زخرفة اقواله وقوة حججه

هذه العوامل مهدت لادم وزوجته خفة وطأة وقوعهما في هذه المخالفة « ليقضي الله امرا كان مفعولا » فاكلا منها وجرت المقادير وتنازلت عنهما ثيابهما واخرجا من الجنة حفاة عراة وعلم الله آدم صنعة الحديد فصنع سكة وآلات

زراعية وامره بالحرث فحرث وزرع حتى اذا استوى الزرع امره بحصاده فحصده وذراه وطحنه وعجنه وخبزه ثم اكله

سيدنا ادم عليه الصلاة والسلام هو اول فلاح شق الارض وزرع واكل من صنع يده فاشتغل في صناعة الحدادة حتى عمل السكة وفلح اي شق الارض وحصد ثم طحن ثم خبز فهؤلاء جملة صنائع تتوقف عليها حركة الكون ولا يمكن ان يعيش الخلق بغيرها

فهل استنكف السيد آدم عن الاشتغال بهذه الصناعة والزراعة ام قدر نفسه بانه اكبر من ان يشتغل بمثلها كما يقوم في نفوس بعض القوم اليوم حتى ان المحترف بمثل هذه الحرف يري نفسه حقيرة بأعين بعض الذين لا يفقهون فما بال اقوام قد اهملوا هذه الاعمال ونظروا المحترف فيها بعين الحقارة والازدراء حتى اهملت واجتهد في التفنن فيها الغربيون وقبضوا عَلَى ثروة البلاد وضربوا عَلَى ايدينا بيد من حديد رحم الله القائل « دبس بلادي ولا سكر الاغيار » والله اذ لم ننتبه الى الصناعة والزراعة ولم نقدر اهميتهما حق التقدير وبقينا في هذا الخمول او الكبر الفارغ استولى الغربيون عَلَى البقية الباقية منا وصرنا خدمة عندهم وعالة عليهم وان كان هذا هو الواقع الان فانا لله وانا اليه راجعون

وعاتبه الله تعالى معاتبة ظاهرية حيث انه كان مأموراً بالاكل في الباطن فقال له يا آدم الم يكن فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة فقال ادم بلى يارب وعزتك وجلالك ما ظننت ان احدا يحلف كاذبا باسمائك فاهبطهما الله من الجنة فنزل ادم بارض سرنديب من ارض الهند عَلَى جبل يقال له نود ونزلت حواء بجده

ثم الهم الله تعالى ادم بالدعاء بكلمات قيل انها « ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » فتاب عليه وتجاوز عنه وجمعه بحواء عَلَى عرفات

﴾ كيفية التناسل ﴿

كانت حواء تلد بحكمة الله تعالى في كل بطن ذكرا وانثى الا شيثاً عليه السلام فانه اتى وحده فكان ادم يزوج بامر الله الذكر للانثى التى تأتي في بطن آخر وبذلك كثرت ذرية ادم حتي بلغت في حياته اربعين الفاً فسبحان القادر الحكيم

﴾ رسالة آدم وهل هو رسول ﴿

سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام هو نبي ورسول وهو اول رسول ارسل ورسالته كانت لاولاده واحفاده لاجل ان يبين لهم وجوده تعالى ووحدانيته وانزل عليه عشرة صحف

﴾ قصة قابيل وهابيل ﴿

قد ذكرنا ان حواء كانت تلد في كل بطن ذكراً وانثي وكان سيدنا آدم يزوج الذكر للانثى التى في بطن آخر فاتفق انها ولدت ذات مرة بطنين كعادتها في البطن الاول قابيل واخته وفي البطن الثاني هابيل واخته فامرهما بان كل واحد منكما يتزوج باخت الاخر فرضي هابيل وسخط قابيل لان اخته التى اتت في البطن الذى اتي به هي احسن حالا واجمل زينة من اخت هابيل فقال لابيه ان الله لم يأمرك بذلك وما هذا الا من عندك فقال له ابوه ان هذا بأمر ربي وان شئت ان تتأكد فقدما قربانين وايكما تقبل قربانه فهو احق بها من الاخر وعادة القرابين اذا كانت مقبولة نزلت نار من السماء فأكلتها وان لم تكن مقبولة تأكلها الحشرات فقدما قربانين فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل فاضمر لاخيه الحسد وعزم علَى قتله وصرح له بذلك فقال له لاقتلنك فاجابه بكلام مختصر جامع لمعاني الحلم واللين وفي جوابه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يري حرمانه من تقصيره فيجتهد في التحصيل حتى يصير محظوظاً مثل المحسود واما اذا اجتهد

في ازالة حظ المحسود فان ذلك يضره ولا ينفعه والرجل الكامل من ينتفع وينفع غيره فقال ولم تقتلني « انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني فما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين »

ولما كان هذا اول قتيل وقع في الارض فلم يدرِ ماذا يصنع به فحمله على ظهره اربعين يوماً حتى انتن وظهرت رائحته فاراد الله ان يعلم الناس كيف يصنعون في موتاهم فبعث الله غرابين فاقتتلا وقتل احدهما الاخر فحفر القاتل بمنقاره ورجليه حفرة ثم القاه فيها وواراه بالتراب وجعل قابيل ينظر الى ذلك الغراب ثم قال « يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي فاصبح من النادمين » ثم حفر له حفرة ودفنه بها

كان سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام غائباً حينما وقع هذا القتل فلما اتى وبلغه الخبر حزن عليه حزناً شديداً فدعى على ولده قابيل بان الله يسود وجهه فسود الله وجهه وجلده وعلى هذا الشكل خرجت ذريته

هذا ملخص ما اتى في القصة بالاسانيد الصحيحة واما ما روي من ان آدم عليه السلام رثى ولده بشعر وابيات فهذا كله لا اصل له وان آدم لم يقل الشعر قطعياً وان الانبياء معصومون من الشعر

﴿ شيث عليه السلام ﴾

ارسل الله بعد ادم شيثاً عليه السلام وكان اطوع اولاده واصلح اخوته وكان قومه عباداً صالحين بخلاف قوم اخيه قابيل فانهم كانوا عصاة طاغين ولذلك قاتلهم وهو اول من استعمل السيف وانزل الله عليه خمسين صحيفة فارشد قومه الى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ولبث في قومه هاديا مهديا الى ان ادركه المنون ودفن

عليه السلام في جبل ابي قبيس من جبال مكة المكرمة

﴿ ادريس عليه السلام ﴾

ارسل الله بعد شيث ادريس عليهما السلام واسمه اخنوخ وسمى ادريس لكثرة دراسته في الكتب والصحف

هذا الرسول الكريم هو من خيرة الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام قد اثنى الله عليه بصورة مخصوصة في كتابه الكريم فقال : « واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا » واختلفوا في هذه الرفعة والصحيح ان الله تعالى رفع منزلته بين قومه وامته فكان بينهم عالي المنزلة مرفوع المقام كقوله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم « ورفعنا لك ذكرك » فقد شرفه الله بالنبوة وارسله رسولا وانزل عليه ثلاثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم واول من خاط الثياب بعد ان كان الناس يلبسون الجلود واول من اتخذ السلاح جميع ذلك قد اوجد له منزلة عالية بين القوم ومكانا ساميا واما ما يروى من ان ملك الموت قد حمله الى السماء واحتال ادريس عليه حتى قبض روحه ثم ردها اليه ثم ادخله النار ثم اخرجه منها ثم ادخله الجنة ثم ابى ادريس ان يخرج منها وهو موجود فيها الى الان وغير ذلك مما ذكره القصاصون وحملة الاخبار فهو غير صحيح والله اعلم

﴿ نوح عليه السلام ﴾

ثم ارسل الله بعد ادريس نوحاً عليه السلام بعثه الى قومه لاجل ان يدعوهم الى توحيد الله واتباع شريعته فطعنوا في نبوته في ثلاثة انواع الاول انهم قالوا له « ما نراك الا بشرا مثلنا » والثاني « ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا » والثالث « وما نرى لكم علينا من فضل » يعني انك يانوح ما انت الا بشر مثلنا لا مزية لك علينا ولم نر احدا اتبعك الا الاراذل والاسافل فلو كنت صادقا لاتبعك اكابر الناس واشرافهم وما نرى لكم علينا من فضل بالمال والشرف والجاه حتى تستحقون

ان نتبعكم بل نظنكم كاذبين فقال نوح يا قومي لا اسئلكم على دعوتي هذه مالا ان
اجرى الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا لانهم اقترحوا عليه ان يطرد الاسافل
الذين كانوا يترددون عليه وانهم استنكفوا عن الحضور الى مجالس نوح بوجود اهل
الحرف والصنائع الذين زعموا انهم اراذل واسافل ثم كرر نوح النصيحة فقال
« ويا قومي من ينصرني من » عقاب الله ان طردتهم وهم مؤمنون مخلصون « ولا
اقول لكم عندي خزائن الله » فكما انني لا اسألكم اجرا فكذلك لا ادعى اني غني
« ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك » فاتعاظم عليكم « ولا اقول للذين تزدري
اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين »

سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام هو اول رجل علم الناس ادب المناظرة
فكان معلما حكيما ومرشدا ناصحا علم امته هذا الفن وارشد الخلق جميعا اليه ولم
يصادف من القوم الا خشونة وغلاظة فانتهت اليه عليه الصلاة والسلام الحكمة
والاداب كما انتهت الى قومه الغلاظة والفظاظة فماذا كان جوابه للقوم لما ان قالوا
له « يانوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين »
كان جوابه عليه الصلاة والسلام بان اظهر لهم نهاية الشفقة والرأفة كالأب
الشفوق ولم يفاجئهم باستحقاق العذاب حرصا على مس عواطفهم وهم مع ذلك لم
يخفضوا من غلوائهم ولم يقيدوا الفاظهم ضمن دائرة الادب لقاء ما سمعوه منه من
حسن الخطاب وهو « اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم » بل ناهضوه ووصموه بانه
مماثل لهم وانهُ متبوع الاراذل وانهُ كاذب في دعواه الرسالة وانهُ لا يفضلهم بشيء
فاختصر عليه الصلاة والسلام الجواب اختصارا اجاد فيه بما يشاء وشاء ادبهُ بانهُ
على بينة من ربه وانهُ اوتي رحمة سماوية من عند ربه وان المؤمن وان كان
فقيرا ليس بسافل ولا رذيل لكن مع شدة كراهيتهم لم يشاؤا ان يعيروا لهذه
المدافعات اذانا صاغية لان الكراهية تعمى وتصم

وما نفخ فيهم هذه الروح الكبريائية الا حب الاثرة والتمجيد الفارغ والابهة الكاذبة واستنكفوا عن الرضوخ للمساواة التي يأمر بها الدين

ولم يكتفوا بالطعن في نبيهم من حيث شخصه بل اضافوا لذلك طعنا اخر من حيث اتباعه الذين اعتنقوا دينه فقالوا عنهم انهم اراذل وانهم هجموا عَلَى اعتناق اتباعه بلا فكرة ولا روية وهذا من باب التوسع في الطعن فكأنهم عابوه في الداخل والخارج فهم بلا شك بريئون من المبادي الصحيحة والملكات الشريفة حيث قد عدلوا عن البرهان للطعان وابدلوا الاداب بالسباب ففقدوا في هذه المحاورة الصفة الادبية

ومع ذلك كله قد تناسى عليه الصلاة والسلام خروجهم عن دائرة الاداب وتلطف في محاورتهم بعد ان سمع منهم ماسمع مفتتحا كل قوله لهم ياقومي ولم يزدهم ذلك الا عتوا واستكبارا

ولم يزل عليه الصلاة والسلام يعظ القوم ويجاوبوه حتى اوحى الله اليه (انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) فامره بان يصنع الفلك لان ارادة الله قد قضت باغراقهم ونجاة من آمن مع نوح فكان نوح يصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا به واستهزؤا ويقولون له يانوح قد صرت اليوم نجارًا بعدان كنت نبيا حتى اذا جاء الوقت وفار التنور اوحى الله اليه ان احمل في السفينة من كل زوجين اثنين من الدواب والوحوش وجميع من آمن بك وما آمن معه الا القليل وقال لهم نوح « اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها » فكان اذا اراد نوح ان تمشي السفينة مشت واذا اراد ان ترسى رست الا ان موج الماء كان كالجبال لان ابواب السماء قد فتحت بالمطر وعيون الارض قد تفجرت فكان يصب من السماء صبا ويفور من الارض فورانا هائلا ونادى نوح ابنه كنعان وكان في معزل عنه ودعاه الى الركوب فلم يركب « وحال بينهما الموج فكان من المغرقين » واستقام

هذا الطوفان خمسة اشهر علَى قول من قال واستقرت السفينة علَى جبل الجودي وكان هذا الجبل بجهة الموصل واختلف فى العمر الذى عاشه نوح عليه السلام والصحيح انه عاش تسعماية وتسعين سنة منهم تسعماية وخمسين سنة لبث رسولا في قومه كما نطق القرآن الكريم فقال « فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما » وقد ارسله الله وهو ابن اربعين سنة والله اعلم

واختلف في هذا الطوفان هل كان عاماً او خاصاً فالذي عليه الجمهور انه كان عاما في جميع الدنيا ولذلك سمى (ابو البشر الثاني) لان الناس جاءت من بعد الطوفان من نسله وقالت طائفة ان تعميم الطوفان لم يرد به دليل صريح يصح الاعتماد عليه وانما كان بالارض التي ارسل اليها نوح ولم يؤمنوا به فاغرقهم الله جزاء ما عذبوا رسولهم حيث ان بقية الامم التى لم يرسل اليها نوح لا ذنب لهم وعلَى هذا القول يكون نوح عليه السلام رسولا مخصوصا لاقوام مخصوصين وهم قومه كما جاء في القرآن الكريم « ولقد ارسلنا نوحا الى قومه » « ونوحا اذ قال لقومه » والقول الاول هو الصحيح وهو الذى عليه الجمهور من المفسرين والمحدثين وعامة اهل الاخبار والله اعلم :

هود عليه السلام

ثم ارسل الله بعد نوح هوداً عليهما السلام الى قوم عاد وكانوا مقيمين بحضر موت فبعث الله بهم هوداً فدعاهم الى عبادة الله فلم يؤمنوا به فاعقم الله نسائهم وحبس عنهم المطر ثلاث سنين فلما اشتد الكرب وزاد الخطب كرر هود دعوته فقال « يا قومي استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة الى قوتكم » فاجابوه باجوبة تدل علَى قصر عقولهم وفشو الجهل بهم « فقالوا يا هود ما جئتنا ببينة » والحال انه اعقم الله نسائهم وحبس عنهم المطر

ثلاث سنين وهاتان معجزتان عظيمتان تدلان على صدق دعوته وقالوا ايضاً له « وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء » يعني انك لما اكثرت من سب آلهتنا فانتقموا منك وافسدوا عقلك حتى جعلوك مجنونا فقال هود مجيباً لهم « اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون » وهذه ايضاً معجزة عظيمة حيث ان هودا عليه السلام كان وحيدا فريدا بين هؤلاء الاقوام الذين كانوا في نهاية الكفر والجبروت فسفه آلهتهم وابطل عبادتهم فقال هذا القول ثقة بالله بانه ينصره عليهم ولم يكن غير قليل حتى فاجأهم العذاب وارسل عليهم ريحاً صرصرا دام فيهم سبع ليالٍ وثمانية ايام حسوما فكان الريح يدخل في مناخيرهم ويخرج من ادبارهم ويرفعهم ويضربهم في الارض فينكبون على وجوههم فصاروا كاعجاز نخل خاوية ونجي الله هودا ومن آمن معه وكانوا اربعة الاف بين ذكر وانثى ثم رحل بهم الى جهة اليمن

صالح عليه السلام

ثم ارسل الله بعد هود صالحاً عليهما السلام الى قوم ثمود وهم سكان الحجر وكانوا يعبدون الاصنام فامرهم بتوحيد الملك العلام واخبرهم ان لا اله غيره « فهو الذي انشائكم في الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب » ولما قرر لهم هذه الدلائل اجابوه عليها فقالوا له (يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نترك ما يعبد آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي واتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني » بما تقولون « غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية » وهذه الناقة هي آية عظيمة من ايات الله ومعجزة كبيرة تدل على صدق نبوة سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام لانها :

اولا كانت تشرب في اليوم ماء جميع القبيلة فلم يبق للقبيلة من الماء يوم شربها ولا قطرة وتترك للقبيلة ماء اليوم الثاني واستيفاؤها شرب ماء قبيلة باسرها امر عجيب جداً

ثانيا ان القوم كانوا يحلبون منها في يوم شربها حليبا يكفيهم يومهم ويقوم مقام الماء في ذلك اليوم وكأنها كانت تصب اللبن صبا

ثالثا ان اليوم الذى كانت ترد به على الماء تمتنع جميع الحيوانات عن الورود اليه ولا ترد الحيوانات الا في اليوم الثاني

ولا يخفى ان كل واحد من هذه الامور يكفي وحده ان يكون معجزا وحجة قوية على قوم صالح وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لعلى «ان اشقى الاولين عاقر ناقة صالح واشقى الآخرين قاتلك

فياويل هؤلاء القوم ما اضل عقولهم واشقاهم قد اقترحوا على نبيهم خروج ناقة من صخرة ظنوا انهم يعجزونه فاخرجها الله دفعة واحدة من الصخرة وشاهدوا ان الماء الذى كان شرابا لهم تشربه كله وشاهدوا امتناع جميع الحيوانات عن الورود الى الماء في يوم شربها ثم نحروها ولم يكفهم الوقوف عند هذا الحد والاعتبار بهذه المعجزات البالغه بل لما توعدهم بالعذاب وانهم استحقوه وهو واقع بهم لا محالة وامهلهم ثلاثة ايام وان اجسادهم تحمر في اليوم الاول وتصفر في اليوم الثاني وتسود في اليوم الثالث ثم احمرت واصفرت واسودت كما بين لهم ونصحهم وشاهدوا تلك المعجزات وظهر لهم هذه العلامات فهل يحتمل ان يبقى عاقل مع هذه الاحوال والمشاهدات مصرا على كفره غير تائب منه والله ان هذا نهاية الشقاء لكن يزول الاستغراب والتعجب اذا التفتنا قليلا وامعنا النظر في حالة قومنا اليوم وما وصلوا اليه من هذا الذل والانحطاط والاعداء يسومونهم سوء العذاب يذبحون ابنائهم ويستحيون نسائهم والعذاب النازل عليهم مع

اصرارهم عَلَى ارتكاب المعاصى والفجور وفي كل يوم يفتنون مرة او مرتين لا في كل عام ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون فهل امنوا مكر الله ولا يأمن مكر الله الا الكافرون او امنوا ان يخسف بهم جانب البر او يرسل عليهم حاصبا ثم لا يجدوا لهم وكيلا

فياهلترى ماذا ينتظر القوم ان يفعل بهم فهل نبهتهم هذه الحوادث فانتبهوا ورجعوا عما كانوا عليه وعملوا ما امرهم الله به وتجنبوا ما نهاهم عنه ونبذوا الحسد والبغضاء من صدورهم واجتمعوا كأنهم رجل واحد فان بغير ذلك لا تقوم للاسلام قائمة وان اصروا عَلَى ما هم عليه فسوف يأتيهم عذاب يستهونون العذاب الذينهم فيه الا ن اللهم ان القوم لاهون وعن كل مـا حل بهم غافلون فايقظهم بفضلك ورحمتك وبث في افئدتهم روحاً من عندك حتى ينفضوا عن رؤوسهم تراب الذل والخمول انك رحيم كريم رؤف حليم

ثم نها صالح عليه السلام قومه وحذرهم وشدد لهم في التحذير بان لا يمسوها بسوء فعقروها فانذرهم بانزال العذاب بهم بعد ثلاثة كما ايام تقدم وقد اعطاهم هذه المهلة لعلهم يؤمنون فيتوبوا ويستغفروا ربهم فلم يؤمنوا فأتتهم صيحة عظيمة من السماء فتقطعت قلوبهم وصدورهم فماتوا جميعا واصبحوا في ديارهم جاثمين يعني منكبين عَلَى وجوههم ثم اخذ صالح من آمن معه وتوجه بهم نحو مكة المكرمة

﴿ ابراهيم عليه السلام ﴾

ثم ارسل الله بعد صالح ابراهيم عليهما السلام وبعثه الى القبط في مدينة بابل وكانوا يعبدون الاصنام والكواكب وانزل عليه عشرة صحف فلم يؤمن بـه احد من تلك الاقوام فاجمعوا مع حاكمهم النمروذ عَلَى حرقه فحفروا له خندقاً وجمعوا فيه حطبا كثيرا واوقدوا فيه النار فلم يزل يشتد لهيبها حتى صار بدرجة لم يحدثنا التاريخ باعظم منها حتي كانت طيور الجو تتساقط من شدة لهيبها ثم قبضوا عليه

والقوه بها فجعلها الله عليه بردا وسلاماً وخرج منها ولم ينله سوء اصلا واختلف في كيفية عدم وصول الاذى والحرق لسيدنا ابراهيم والصحيح الذي عليه المعول ان الله خلق في جسمه الشريف مادة تمنع وصول اذى النار اليه كما جعل ذلك للطير المسمى بالسمندل وكذلك النعامة ايضا فهو لا لا تضرهما النار والله اعلم

ثم اذن الله له بالهجرة من ارض الكلدانيين الى الشام فخرج ومعه ابن اخيه لوط وزوجته سارة وجماعة آمنوا به ثم انتقل الى بيت المقدس بامر الله واستوطن حبرون وفيها كان مسكنه ومدفنه هو وكثير من آله الكرام عليهم الصلاة والسلام ولذلك سميت هذه المدينة باسمه وهي مشهورة بهذا الاسم الى الآن ثم ان سارة وهبت له هاجر وهي جاريتها حيث انها كانت لا تلد فسأل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان يهب له ولدا ولم يكن غير قليل حتى ولدت هاجر اسماعيل عليه الصلاة والسلام

لم تتمالك سارة ان تقيم مع هاجر حيث قد استحكمت فيها الغيرة وتمكنت فيها الغبطة ولم تقدر على الاقامة مع هاجر ولا يوماً واحدا فرأى السيد ابراهيم صلوات الله تعالى وسلامه عليه لزوم التفرقة بينهما فنقل هاجر هي وولدها الى الديار الحجازية بامر الله سبحانه وتعالى وانزلها عند دوحة كانت في مكة المكرمة بجوار البيت الحرام وكانت مكة المكرمة في ذلك العهد قاحلة خرابا لا زرع فيها ولا نبات فترك عندهما ماء وزادا يكفيهما مدة غيابه ولما عزم عليه الصلاة والسلام على الرجوع الى الشام استقبل البيت الحرام ورفع طرفه الى السماء وقال (رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وحقيقة قد استجاب الله دعاء هذا الرسول الكريم وجعل

ذلك الوادى القاحل حرماً آمنا تجبى اليه ثمرات كل شيء فتوجد فيه فواكه الصيف في الشتاء وفواكه الشتاء في الصيف وقد جبل قلوب الخلق عَلَى محبة ذلك البيت المعظم وتعظيمه حتي جعل زيارته والاتيان اليه فرضا من الفروض الدينية يعاقب المستطيع عَلَى تركه معاقبة شديدة

ثم لما نفذ زادها وفرغ ماؤها قامت هاجر تتردد بين الصفا والمروة لعلها تجد ماء او علامة محل الماء فأتت ثم رجعت ثم اتت ورجعت سبع مرات وهي تقول اللهم انا وديعة نبيك وخليلك عندك فلا تضيعنا يا من لا تضيع عنده الودائع يا ارحم الراحمين ثم رجعت الى اسماعيل فوجدته يحفر الارض برجليه وينبع من تحتها الماء وهو يبكي ثم نهضته من جانب الماء وجعلت تزم الماء وتجمعه وتحوط بالتراب فمكثت هاجر تشرب من هذا الماء وترضع ولدها وقد اوجد الله في هذا الماء صفة غذائية قد كفاها عن الطعام مقدار خمسة ايام وفي اليوم السادس اقبل غلامان من جرهم يريدان بعيراً لهما قد ضاع في الفلاة فاشرفا عَلَى جبل ابي قبيس فرأى الماء فتعجبا وانطلقا الى القوم واخبراهم بذلك فاقبل نفر من اعيانهم فابصروا الماء ورأوا هاجر وولدها فسألوها فاخبرتهم بخبرها ثم طلبوا ان تأذن لهم بالنزول عندها فقالت لهم عَلَى شرط ان يكون حق القرار والاسكان لهذا الغلام ويستطيع اخراجكم متى اراد وله المواساة في اموالكم فقبلوا بهذه الشروط وزادوا عَلَى انفسهم شرطا آخر وهو ان يكون رئيسهم متى ادرك وبلغ مبلغ الرجال فذهبوا واخبروا قومهم بذلك وانتقلوا جميعا وبنوا المنازل والبيوت ونشأ اسماعيل عليه الصلاة والسلام بينهم وكانت لغتهم العربية الفصحى ولما بلغ الحلم كان افصحهم لسانا واحسنهم لهجة عليه رونق الامارة عظيم الهيئة والهيبة شريف النفس عالي الهمة عاقلا لبيبا مدبرا حكيما فسودوه عليهم فاحسن سياستهم وعدل بينهم وقسموا له من اموالهم ولم نمض

مدة قليلة حتى كثرت غنمه وابله فزوجوه من اشرافهم

سارة

واما السيدة سارة فقد علم الله ان قلبها قد انكسر لانها لم تلد ولدا منها يخلف ابراهيم في النبوة وقد زاد انكسار خاطرها لما رأت اسماعيل قد اتى من هاجر وكان ما كان من تفريقهما من شدة ما حصل لهما فتمنت على الله تعالى بان يتفضل عليها بمثل اسماعيل فلم يخيب الله آمالها وتكرم عليها و بشرها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب

وذلك ان وفدا من الملائكة وفيهم جبريل نزلوا في دارها فدخلوا وكان بالبيت ابراهيم وسارة فقالوا سلام عليك يا ابراهيم فرد عليهم السلام وبادر بذبح عجل ثمين وشواه على حجارة محماة بالنار وكان ذلك من خواص اكلهم بذلك الوقت لما فيه من اللذة والدسامه وانه عليه الصلاة والسلام كان رحب الصدر طلق المحيا بشوش الوجه على الخصوص عند مقابلة الضيف وكان يكنى بابي الضيفان وقد كان يتكدر في الليلة التي لم يأت بها ضيف عنده ورأي اضيافا لم ير مثلهم رآهم آية في الكمال ونهاية في حسن الحال فعجل لهم القرا واتاهم بهذا العجل الذي لم يكن عنده اسمن منه

فلما رأي ايديهم لا تصل اليه وامتنعوا عن تناوله انكر حالتهم واوجس منهم خيفة لان عاده العرب اذا اتاهم ضيف ولم يأكل من طعامهم يعلمون انه مضمر لهم الشر فلما ادركوا انه قد حصل خوف لابراهيم بادر جبريل بازالته وقال له (لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط) وافهمه حالتهم وانهم ملائكة والملائكة لا يأكلون ولا يشربون فزال خوف ابراهيم لما ان سمع منهم (وامرأته قائمة فضحكت) لما ان سمعت منهم هذا الكلام وسرت كما سر سيدنا ابراهيم فبشرها جبريل باسحق ومن وراء اسحق يعقوب

هذه البشرى تضمنت بشارتين الاولى بشارتها بانها تلد اسحاق والثانية بانها تعيش عمرا طويلا على كبرها حتى يكبر اسحاق و يتزوج و يولد له يعقوب فترى ولد ولدها ولذلك اندهشت واستغربت استغرابا عظيما فقالت (يا ويلتا أألد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا الشئ عجيب) وكان عمرها تسعا وتسعين سنة وكان عمر ابراهيم مائة وعشرين سنة وكان بين اسماعيل و بين اسحاق ثلاث عشرة سنة و بين بشارة الملائكة وولادته سنة واحدة

الذبيح

قد اختلف العلماء في تعيين الذبيح هل هو اسحاق او اسماعيل والصحيح الذى عليه المعول انه اسماعيل لوجوه

اولا ان الذبح وقع بمكة واسحاق لم يكن بمكة هذا اذا فرضنا ان اسحاق كان مولودا حين وقوع هذه القصة لان اسماعيل يكبر اسحاق بثلاث عشرة سنة كما ذكرنا قريبا والله تعالى يقول عن الذبيح فلما بلغ معه السعى يعنى ان ولده لما بلغ درجة تؤهله على السعى و بعباره اخرى انه صار في سن من يسعى مع غيره للاعمال حينئذ راى ابوه في المنام ما يدل على وجوب ذبحه بناء على امر الهى

ثانيا ان الله تعالى لما فرغ من قصة الذبح قال (و بشرناه باسحاق) فدل على ان قصه الذبح كانت متقدمة على البشاره باسحاق

ثالثا ان استمرار العمل بسنة النحر في مني واتصال ذلك من لدن اسماعيل و بنيه من بعده وهلم جرا جيلا بعد جيل الى يومنا هذا اقوى دليل واصح برهان على ان الذبح وقع بمكة واذا ثبت ذلك فلا خلاف بانه اسماعيل

وقال جماعة بانه اسحاق واستدلوا باخبار وآثار والله اعلم

قصة الذبيح

اعلم ان سيدنا ابراهيم عليه الصلاه والسلام قد بلغ من العمر ما يزيد عن المائة ربيعا ولم يرزقه الله ولدا يعينه عَلَى الدعوه و يؤنسه فتمنى عَلَى الله بان يهب له غلاما صالحا كما قال الله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) وصفة الحلم قد ذكرها الله مرتين ففى غير هذا الموضع قال (ان ابراهيم لاواه حليم) وهنا قال (غلام حليم) فيهما دلالة على ان سيدنا ابراهيم وولده قد اشتهرا بالحلم وان حالتهما تشهد ايضا بذلك وتؤكده فانه بمجرد قوله لولده (اني اري في المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى) يعني اوحى الله الي بذبحك لان رؤيا الانبياء وحى لكن فماذا كان جواب هذا الولد الذى انتهي اليه الحلم والبر كان جوابه لوالده بان اظهر له نهاية الطاعة وكمال الانقياد بكلام رقيق مختصر ولم يحصل له ادنى تردد فقال مجيبا لحضرة والده (يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني انشاء الله من الصابرين) شاوره عليه الصلاة والسلام اولا بقوله (فانظر ماذا ترى) ليتبين له صبره وانقياده فيقر عينه بهذه الطاعة في مثل هذا الامر من هذا الولد البار وحتى يزيده ذلك حنوا وشفقه فيتضاعف ثواب الوالد والولد معا ويزيد كبر المصيبه عَلَى الوالد ايضا حينما يظهر من ولده مثل هذه الطاعه الي درجه لم نسمعها في تاريخ بنى آدم الا في هذين الكريمين

(فلما اسلما وتله للجبين) يعنى فلما اسلما وانقادا صرع ولده عَلَى شقه ووضع جبينه عَلَى الارض فقال يا ابت اشدد رباطي حتى لا اضطرب فينقص اجري واكفف عن ثيابي حتى لا ينتضح عليها من دمى شيء وتراه امى فتحزن حزنا طويلا واسرع مر السكين عَلَى حلقي ليكون اهون على لان الموت شديد واذا اتيت امى فاقرأ عليها السلام منى ثم فعل ابراهيم ما قاله ولده واقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكي فجادت عَلَي هذين الكريمين عطفة الرحمن وفدي الذبيح

بقربان واوحى الله اليه (ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين) وفي قوله تعالى بعد سرد هذه القصة و بشرناه باسحاق نبياً من الصالحين يدل دلالة ظاهرة على ان الذبيح غير اسحاق قطعاً واذا كان غير اسحاق فثبت انه اسماعيل صلوات الله عليهم اجمعين

فاذا علمت ذلك تحقق يقيناً ان سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام هو خير الرسل وافضلهم بعد نبينا صلى الله عليهم اجمعين لانه اولاً سلم قلبه للفرقان ولسانه للبرهان و بدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان وسأل ربه فقال (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) فاجاب دعائه وحقق مطلوبه وقبل ندائه وجعله مقبولا لجميع الفرق والطوائف الى قيام الساعة فالكل من المسلمين والنصارى واليهود يعظمونه و يبجلونه و يعترفون بجلالة قدره وكثيراً ما جاء في القرآن المبين الأحتجاج باحوال ابراهيم حكايات كثيرة في معرض الاحتجاج فيها عَلَى المشركين وان هذا المنصب العظيم والثقة الجسيمة لم تحصل لغير سيدنا ابراهيم وقد شهد الله له بانه وفى بما عهد اليه بمواضيع كثيره منها عَلَى سبيل الاجمال ومنها على سبيل التفصيل اما الاجمال ففي ثلاث محلات الاول قوله (واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) وهذه شهادة كبيرة من الله تعالى بانه تمم عهد العبودية الثاني قوله (وابراهيم الذى وفى) وهذه ايضاً لا تقل عن الشهادة الماضية والثالث قوله تعالى «اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين» واما التفصيل فهو انه عليه الصلاة والسلام ناظر في اثبات التوحيد وابطال القول بالشركاء والانداد في مقامات كثيرة فالمقام الاول في هذا الباب مناظرته مع ابيه حينما قال له «يا ابت لم تعبد ما لايسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا» والمقام الثاني مناظرته مع قومه حينما قال «فلما جن عليه الليل والمقام الثالث مناظرته مع ملك زمانه حينما قال له ربي الذي يحيى و يميت

فقال له الملك انا احيي واميت فقال له ابراهيم ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الملك والرابع مناظرته مع الكفار بالفعل بان كسر اصنامهم وجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم حتي قرروا حرقه بالنار ونجاه الله منهم والخامس بذل ولده وتضحية مهجة كبده وهو شيخ كبير لم ينظر له ولدا فحينما نظر الولد وصار شاباً يجاريه بالسعي عَلَى الاعمال ولم يكن خلافه يقوم مقامه فضحاه فانظر اهمية هذه الدرجة الكبيرة والرتبة العالية ولذلك جعل الله آثاره ومواطن اقدامه مناسك لعباده المومنين ومعبد لهم الي يوم الدين

بناء البيت الحرام

قد شرع ابراهيم عليه الصلاة والسلام في اظهار البيت الحرام بعد ان كان مطموسا من مرور الزمان وكرور الايام وعزم على بنائه فكان هو يبني واسماعيل ينقل له الحجارة ولما تم البنيان امره الله ان يوءذن باعلان الحج فقال يا رب ومن يسمع صوتي ولم يوجد احد فاوحى اليه بان اذن وعليَّ البلاغ فنادى عَلَى جبل ابي قبيس يا ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فهلموا الى الحج فاتت رجالا وركبانا كما قال تعالى «يأتوك رجالا وعَلَى كل ضامر يأتين من كل فج عميق» لان جرهم هي اول من لبي هذه الدعوة فكانوا بذلك اول الناس اجابة واسلاماً وحجاً فعلمهم ابراهيم كيفية الحج ومناسكه والله تعالى اعلم

مناظرته عليه الصلاة والسلام للنمرود

النمرود هو ابن كنعان وهو احد من ملكوا الارض شرقا وغربا وهو اول من وضع التاج عَلَى رأسه واول من تجبر في الارض وادعى الربوبية فقد جادل يوما ابراهيم لما ساله من ربك يا ابراهيم فقال له سيدنا ابراهيم «ربي الذي يحيي ويميت» قال انا احيي واميت ثم دعا برجلين فقتل احدهما وابقى الآخر

فجعل القتل موتا وتركه احياء فما رآه سيدنا ابراهيم بغاية الغباوة وضعف العقل انتقل الى حجة اوضح من الاولى وكان يمكنه عليه الصلاة والسلام ان يقول له احي من قتلت ان كنت صادقا لكن انتقاله الى معجزة اكبر منها يزيده تحيرا ودهشة فقال له « ان الله يأتي بالشمس فأت من المغرب » ولو يوما واحدا ان كنت صادقا فبهت الذى كفر وتحير واندهش وانقطعت حجته ولما زاد تكبرا وطغيانا ارسل الله عليه وعلى قومه البعوض فاكلت شحومهم وشربت دماءهم ومات هذا الجبار في اسوأ الحالات

مناظرته عليه الصلاة والسلام مع قومه

الاصل في عبادة الاصنام كما ذكره الفخر الرازي ان الناس لما رأوا تغيرات احوال هذا العالم مربوطة بتغيرات احوال الكواكب فبحسب قرب الشمس وبعدها من سمت الرأس تحدث الفصول الاربعة وبسبب حدوث الفصول الاربعة تحدث الاحوال المختلفة في هذا العالم ثم ان الناس ترصدوا احوال سائر الكواكب فاعتقدوا ارتباط السعادات والنحوسات بكيفية وقوعها على احوال مختلفة فلما اعتقدوا ذلك غلب على ظنون اكثرهم ان مبدأ حدوث الحوادث فى هذا العالم هو الاتصالات الفلكية والمناسبات الكوكبية فلما اعتقدوا ذلك بالغوا في تعظيم الكواكب واشتغلوا في عبادتها وتعظيمها الا انهم لما رأوها تغيب عن الابصار في اكثر الاوقات اتخذوا لكل كوكب صنما من الجوهر المنسوب اليه ذلك الكوكب فاتخذوا صنم الشمس من الذهب وزينوه بالاحجار المنسوبة الى الشمس وهي الياقوت والالماس واتخذوا صنم القمر من الفضة وهكذا ثم اقبلوا على عبادة هذه الاصنام والغرض هو عبادة الكواكب الاصلية المعمول على اصله ذلك الصنم والدليل على ان حاصل دين عبادة الاصنام كما تقدم ان سيدنا ابراهيم صلوات الله عليه لما قال « لابيه آزر أتتخذ اصناما آلهة اني اراك

وقومك في ضلال مبين) ثم اشتغل له بذكر الدليل عَلَى ان هــذه الكواكب لا يصلح شيء منها للالوهية ورأى عليه الصلاة والسلام بانه لا سبيل الى ابطال عبادة الاصنام الا باقامة البراهين على ان هذه الكواكب لا تصلح ان تكون آلهة مدبرة لهذا العالم

وظاهر هذه الآية يدل عَلَى ان اسم ابى سيدنا الخليل آزر لا كما يقول بعض اهل الاخبار من ان اسمه كان تارخ وان آزر اسم عمه الذي رباه وغير ذلك اذ ان هذا تفصيل بلا دليل واما كونه كان كافراً وانه عدو لله بدليل قوله تعالي (وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه) فلا يقدح ذلك في نسب النبي صلى الله عليه وسلم لانــه ثبت اتصال نسب نبينا صلى الله عليه وسلم لسيدنا ابراهيم واما ما ورد في الحديث الصحيح (لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات) فهــذا محمول عَلَى انه ما وقع في نسبه صلى الله عليه وسلم ما كان سفاحاً واعلم ان هذه المناظرة قد وقعت بعد ان صار سيدنا ابراهيم من الموقنين العارفين بربــه بدليل قوله تعالي (وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم عَلَى قومه) فعلم ان هذه المباحثة انها مــا جرت الا لان يرشد القوم الى الايمان والتوحيد ويهديهم الى ما فيه صلاحهم وفلاحهم وقال بعض المحققــين ان الله تعالى قد خص سيدنا ابراهيم من صغره بالعقل الكامل والقريحة الصافية واول نشأته خطر بباله ان يثبت الصانع سبحانه وتعالى فتفكر فرأى النجم فقال هذا ربي فلما شاهد حركته وافوله فقال لا احب الآفلين ثم انه تعالى اكمل بلوغه في اثناء هذا البحث فقال بالحال اني بريء مما تشركون وهذا القول لا بأس به ولكن القول الاول اولى بالقبول وان هــذه المناظرة وقعت منه عليه الصلاة والسلام بعد نبوته وحين اشتغاله بدعوة القوم الى التوحيد وقد تحقق عليه الصلاة والسلام من القوم تقليدهم لاسلافهم

وبعد طباعهم عن قبول الدلائل وانه لو صرح بالدعوة الى الله تعالى لم يقبلوا ولم يلتفتوا اليه فمال الى هذه الطريق ليستدرجهم لاستماع الحجة فذكر لهم كلاما يوهمهم انه مساعد لهم عَلَى اعتقادهم بر بوبية هذه الكواكب ومقصوده عليه الصلاة والسلام التمكن من ذكر الدليل عَلَى ابطال معتقداتهم وافسادهـا فلما رأى كوكباً قال هذا ربي فاستدرجهم باللفظ الذي كانوا يقولونه تماماً حتى يرجع اليه فيبطله فيكون ذلك اقوى حجة واشد تأثيراً في نفس السامعين ولما افل ذلك الكوكب اي غاب واختفى قال اني لا احب الآفلين وان الاله المتغير من حال الى حال لا يستحق الر بو بية قطعا (فلما رأى القمر بازغـاً) عَلَى اثر غروب الكوكب (قال هذا ربي) علي الاسلوب السابق (فلما افل) كما افـل الكوكب الاول (قال لئن لم يهدني ربي) بهدايته ويرشدني الى طريق السداد والصواب (لاكونن من القوم الضالين) لان الذى رأيتهما لا يليق بهما لربوَ بية (فلما رأي الشمس بازغة قال هذا ربي) كما تقدم على النهج السابق « وان هذا اكبر » فلعله لا يغيب وهذه اشارة خفية الى فساد دينهم ببيـان ان الاكبر احق بالر بو بية من الاصغر (فلما افلت) كما افل غيرها من الكواكب فصدع بالحق و (قال يا قوم اني بريء مما تشركون) فلما ثبت بالدليل ان هذه الكواكب لا تصلح للر بو بية والالوهية تبرأ من الشرك فكانه امرهم بان يتبرأوا منه لانه عليه الصلاة والسلام مـا استدرجهم بهـذا الاستدراج ولاذكر لهم هذه المقدمات الا لاجل هذه النتيجة والظـاهر ان القوم كانوا مساعدين له عَلَى نفي الشركاء جميعا لان هذا الدليل غير كاف لنفي الشريك مطلقا واثبات التوحيد وما كان نزاعهم الا بر بو بية الكواكب فلما اثبت لهم انها ليست اربابا ولا آلهة ثبت بالاتفاق نفي غيرها فحصل الجزم حينئـذ بنفي الشركاء عَلَى الاطلاق

ولما اورد عليه الصلاه والسلام عَلَى القوم هذه الحجج المذكورة اوردوا عليه حججا يزعمون انها تدل عَلَى صحة اقوالهم منها انهم لا يجوز لهم العدول عما كان عليه اباؤهم ومنها انهم قالوا له مستغرب بين دعوته بان جعلت الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ومنها انهم خوفوه وحذروه بانه اذا طعن بآلهتهم وقع في الآفات والبليات وغير ذلك مما وصلت اليه عقولهم فاجابهم عليها عليه الصلاة والسلام وقال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به لان الخوف انما يكون ممن يقدر عَلَى النفع والضر وهذه الاصنام هي جمادات فلا تنفع ولا تضر فكيف يحصل الخوف منها واما قولة عليه الصلاة والسلام « الا ان يشاء ربى » فمعناه الا ان يشاء فيبتليني بمحن الدنيا ولا يبعد ان يحدث للانسان في مستقبل عمره شيء من المكاره فاحترز عليه الصلاة والسلام بهذا الاحتراز حتي لو انه حدث له شيء من المكاره لم يحمل عَلَى هذا السبب ثم انكر عليه الصلاه والسلام عليهم وقرعهم عَلَى ذلك فقال لهم « وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله » يعني ما لكم تنكرون عَلَى الأمن في موضع الامن ولا تنكرون عَلَى انفسكم الامن في موضع الخوف وانظر الى ادبه عليه الصلاة والسلام مع ربه سبحانه وتعالى بقوله « فاي الفريقين احق بالامن » انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه

واعلم ان هذا السيد الخليل عليه صلوات الملك الجليل هو اسمى الانبياء قدرا وارفعهم ذكرا لانه صفا سره لله فاصطفاه واخلص له فقربه وادناه وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه وفي ذريته وقد اتفقت كلمة الامم عَلَى محبته وقبول سيرته وتبجيله واحترامه وتعظيمه واكرامه ويكفي دليل على ان الله تعالى قد جعل موطىء اقدامه محترمة معظمة تجلها الناس وتقبلها الى يوم القيمة فصلوات الله والاكرام عَلَى نبينا وعليه وعَلَى اولاده الكرام وعَلَى جميعهم

ازكي السلام

سيدنا اسماعيل

سيدنا اسماعيل بن سيدنا ابراهيم عليهما الصلاة والتسليم فقد ذكرنا تربيته ونشأته العربية فشب صلى الله عليه وسلم بين قبيلة جرهم وتزوج منهم وقد تقدم ذكر قصة الذبح و بنائه الكعبة مع والده وقد ارسله الله الى قبيلة جرهم فدعاهم الى عبادة الله وامرهم بتوحيده وقد وصفه الله باوصاف عالية اهمها انهُ كان صادق الوعد فما وعد احدا الا وفى له بما وعده وقد اشتهر عليه الصلاة والسلام فى هذه الخصلة الحميدة حتى صارت علما عليه فكان اذا وعد احدا نهارا ينتظره جميع النهار واذا وعده ليلا ينتظره جميع الليل ومن الاوصاف الحميدة التى مدحه الله فيها انهُ كان يأمر اهله بالصلاة والزكاة وهذه صفة عالية وفكر جميل لان الرسول هو قدوه لمن ارسل اليهم وكذلك اهله فان ساروا على الاوامر والنواهي اتبعهم الناس وساروا بسيرتهم ولذلك اثنى الله عليه بقوله «وكان عند ربه مرضيا» وهذا لا يخفى هو نهاية في المدح والثناء وعاش عليه الصلاة والسلام محبوبا بين قومه مطاعا الى ان مات ودفن بجانب قبر امه هاجر في مكة المكرمة

لوط عليه السلام

ارسل الله لوطا عليه السلام الي سدوم وهي قرية في نواحي الاردن كانت تعمل الخبائث فنهاهم فلم ينتهوا فارسل الله لهم وفدا من الملائكة اتوا لدار لوط فلما رآهم لوط «سيء بهم وضاق بهم ذرعا» لانهم كانوا متشكلين بصور ولدان مرد حسان الوجوه فخاف عليهم من قومه ورأى نفسهُ غير قادر على حمايتهم فلما نظرتهم امرأته اسرعت واخبرت القوم وقالت لهم ان في بيتنا رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط فجاء القوم يهرعون اليه فبادرهم لوط عليه الصلاة والسلام بقوله «يا قوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم» فازوجكم وهن ان شئتم ثم اكد

عليهم بقوله « فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد » يهديكم الى الحق و يامركم بالمعروف و ينهاكم عن ارتكاب هـذه الفواحش فاجابوه بكلام يدل على قسوة مستحكمة في قلوبهم وعلى انهم في نهاية الدناءة والخسة « قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد » يعنى انهم لا يشتهون الا الذكور وليس لهم في البنات حاجة فقال لوط عليه الصلاة والسلام « لو ان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد » لدفعتكم ولبطشت بكم ولما ان سمعت منه الملائكة هذا الجواب الدال على عدم قدرته على دفعهم وانه عليه الصلاة والسلام اشتد كربه وهمه لذلك اسرعوا في تطمينه وقالوا له « يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك » بسوء ابداً فافتح بابك ودعنا نحن واياهم ففتح لهم الباب فدخلوا فضربهم جبريل عليه السلام واطمس اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم وقال جبريل الى لوط « فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد » اى لا ينظر احد منكم الى ورائه ثم قال له « الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح » فقال لهم لوط احب ان تسرعوا في العمل وتستعجلوا بنزول العذاب عليهم فقالوا له « اليس الصبح بقريب » ثم قالوا له اسرع انت بالخروج من الآن » ولما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها » وكانت خمس مدائن وعدد من فيها اربعمائة الف « وامطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد» هذا ما ورد في قصة هؤلاء القوم وما جاء في كيفية عذابهم الذى استحقوه بناء على ما كانت تسوله اليهم نفوسهم الخبيثة وافعالهم الدنيئة ولا يخفى ان خصلة قوم لوط هي معلومة ولا حاجة الى تعريفها واما كونها قبيحة سافلة يترفع عنها كل من كان عنده ادنى ذرة من الشرف والمروءة فاسبابه

لولا ان الاشتغال بمحض الشهوة هو تشبه بالبهائم ولا شك ان اتيان

الذكور دون الاناث هو محض شهوة فكأن الفاعل رضي نفسه بان يكون مثيلا للبهائم واخرجها عن الغريزة الانسانية

ثانياً على فرض ان الفاعل يتلذذ في ذلك العمل لكن لاجل هذه اللذة البهيمية يرمي المفعول به في عار عظيم وعيب دائم لا يزول عنه ابد الآبدين ودهر الداهرين والعاقل الكامل لا يرضى لاجل لذة خسيسة تنقضي في الحال ان يرمي غيره في المهلكة السافلة

ثالثاً ان الله سبحانه وتعالى اودع في الرحم قوة شديدة تجذب المني فاذا واقع الرجل المرأة تحركت آلة الجذب فلم يبق في المجارى شيء من المنى الا وينفصل اما اذا واقع الرجل فلم يحصل في تلك العضو المبين من المفعول به هذه القوة الجاذبة للمنى فيبقي شيء من اجزاء المنى في المجارى ولا ينفصل ويعفن ويفسد ويتولد من ذلك اورام شديدة واسقام عظيمة وهذه دقة لا يدركها الا مهرة الاطباء ولا يمكن معرفتها الا بالقوانين الطبية

من تصفح تاريخ الامم المتقدمة ومخالفتهم لاوامر الله وفعلهم المنكر مع ان انبيائهم عليهم الصلاة والسلام لم يقصروا بتحذيرهم وانذارهم وهم عاكفون على فعل المنكر وارتكاب الفواحش ورأى انهم يستحقون جميع ما نزل فيها من العذاب والدمار فهل يستغرب نزول العذاب علينا واستحقاقنا ذلك

فهؤلاء قوم لوط وقد علمنا ما نزل بهم من العذاب وان الله تعالى دمرهم عن بكرة ابيهم واصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها فهل ان الذنب الذي ارتكبوه وكان في نظر الشرع مستهجنا لم نرتكبه الآن وهل نحن بريئون منه يا هل ترى

هذا سؤال نترك الجواب للمنصف بعد ان نتلو عليه هذه القصة المتقدمة لان الحكمة في انزالها على النبي صلى الله عليه وسلم وقصها عليه ما هي الا

لاجل ان يعتبر هو وامته بما اباد الامم السابقة حتى يسمع من يعقل و يعتبر من يتذكر

عَلَى اننا فعلنا ما فعلوا ورأينا انواع العذاب وانمحت اممينا واضمحلت قوتنا وانثلم شرفنا ورأينا من الذل والانحطاط وما تـأباه النفوس الكريمة ولا ترضاه العقول الكبيرة « وان لو استقاموا عَلَى الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا » « ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكذبون

اسحاق عليه السلام

هذا النبي الكريم هو ابن سيدنا ابراهيم من سارة كما تقدم ارسله الله الى الشام بحياة والده عليهما الصلاة والسلام فدعا القوم بالشام الى التوحيد الملك العلام وان لا يشركوا بالله شيئا وان يوفوا الكيل والميزان ولا يبخسوا الناس اشياءهم وغير ذلك من التخلق بالاخلاق الفاضلة ونهاهم عن النقائص السافلة كما هي وظيفة غيره من الرسل الكرام فآمن به من سبقت له السعاده وكفر به من لم تسبق له وتزوج واتاه ولدان توأمان الاول يعقوب والثاني العيص

يعقوب عليه الصلاة والسلام هو نبي ورسول حسبما ورد في القرآن الكريم واما العيص فلم نر نصا ولا دليلا يصرحان في نبوته

فاما يعقوب فقد تسمى باسرائيل وقد اتي من نسله جميع انبياء بني اسرائيل وملوكها واما العيص فقد كان جد بني الاصفر الذين هم من نسل ولده روم وعاش اسحاق عليه الصلاة والسلام مائة وسبعين سنة ولما مات دفن بجانب قبر ابيه الخليل في حبرون

يعقوب عليه الصلاة والسلام

ثم ارسل الله يعقوب عليه الصلاة والسلام الى كنعان فدعاهم الي عباده الله وتوحيده فامن به قوم وكفر آخرون وتزوج بابنت خاله ليا وولدت له زوبيل وشمعون ولاوى و يهوذا وز بولون و يشجر وولد له اربعة اولاد من سريتين وهم دان ونفتالي وجاد وآشر ثم توفيت ليا فتزوج اختها راحيل فولدت له يوسف و بنيامين فهؤلاء اولاد يعقوب وعددهم اثنى عشر نفراً

لم نر نصا ولا دليلا يثبت نبوتهم لا من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قول احد من الصحابه وقد حدثنا الله عنهم بانهم فعلوا مع اخيهم فعالا هي غاية في القسوة ونهاية في الفجور والذى يفهم من ايات الكتاب المجيد انهم ليسوا متورعين فضلا عن كونهم انبياء صالحين ولا سيما فقد قال لهم «انتم شر مكانا» ولا يخفي ان هذه الكلمات لا تقال الا لاهل الفسق والفجور ولا تقال لاهل الفضل والصلاح

ولا يستلزم ان يكون اولاد الانبياء انبياء لان هذه دعوي بلا دليل فانظر الى ابن سيدنا نوح عليه السلام فقد كان كافراً واليك تفصيل قصتهم مع اخيهم يوسف عليه الصلاة والسلام

يوسف عليه الصلاة والسلام

سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام هو نبي ورسول ايضا وفي الحديث ان الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم رواه البخارى عن ابن عمر ولم تتفق هذه السلسلة بغير يوسف صلوات الله وسلامه علي نبينا وعليه وعلي ابائه الكرام فاتفق انه رأي في منامه قد سجد له احد عشر كوكبا والشمس والقمر فلما اصبح قصها علي ابيه يعقوب فقال « يا ابت اني رايت احد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يابنى

لا تقصص رؤياك عَلَى اخوتك فيكيدوا لك كيداً ان الشيطان للانسان عدوٌ
مبين) امره ابوه بكتمان هذا المنام خوفاً عليه من حسد اخوته واذيتهم له فقد كان
له ميلاً خصوصياً لنحو يوسف دون اخوته فقد تفرس فيه النجابة والفطنة وعلم
بان سيكون له مجد يجيء به مجد آبائه واجداده ولذلك قال له (وكذلك يجتبيك
ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعَلَى آل يعقوب كما اتمها
عَلَى ابويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم)

فاجتمع ذات يوم اخوته وتذاكروا في شأن محبة والدهم ليوسف واخيه
وتمييزهما من دونهم فاشار بعضهم بقتل يوسف والبعض قرر عدم القتل لان ذلك
جناية كبيرة وانما يلقوه بجب خارج المدينة يلتقطه بعض السيارة فيبعد عن ابيه
وعنهم يخلو لهم وجه ابيهم وتصلح امورهم ويهنأ بعد ذلك بالهم

فلما اجمعوا عَلَى ذلك افتكروا بحيلة يدبرونها ومكيدة يصورونها وكان يعقوب
لا يفرط بيوسف ان يخرج من بيته ولا ساعة واحدة لشدة محبته له فجاؤا الى
ابيهم وقالوا له (مالك لا تأمنا عَلَى يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غداً يرتع
ويلعب وانا له لحافظون) بدأوا بالانكار عليه لشدة تحوطه عَلَى يوسف فكأنهم
قالوا له اتخاف عَلَى يوسف منا ونحن اخوته وانا واياك له سواء في الحفظ والرعاية
فتلطف عليه الصلاة والسلام لهم في الجواب واحب ان يفهمهم ان خوفه من
الذئاب فقط ولذلك قال (واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون) فطمنوه بانهم
عصبة والعصبة بالطبع يمكنهم المحافظة التامة والاحتياط على عدم وصول اذى
اليه فسلمه لهم وذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب فلما بعدوا وصاروا في
الصحراء القوه في الارض واظهروا له ما في انفسهم من العداوة واغلظوا له القول
وضربوه فجعل يستغيث وكلما لجأ الى واحد منهم واستغاث به ضربه وابعده عنه
ثم اتوا الى بئر هناك القوه به فسقط عَلَى الماء ثم لجأ الى صخرة في البئر وجلس عليها

ثم انصرفوا عنه

ومن تأمل في هذه القصة وفعال هوءلاء الاخوة وما اشتملت عليه من الجرائم الكثيرة قطيعة رحم - عقوق والدين - قلة رأفة بمن لا ذنب له مع الغدر بالامانة وترك العهد والكذب يحكم قطعاً بان النبوة بريئة منهم والسلام

و بعد ان فعلوا باخيهم ما فعلوه اتوا الى ابيهم بدموع باكية احتيالا و كذبا وادعوا انهم اشغلوا بامر السباق والمناضلة وتركوا يوسف عند متاعهم فاكله الذئب واتوا له بدم كذب لطخوه في ثياب اخيهم لاجل تقوية دلائلهم وصدق دعوتهم

فلم يسع يعقوب عليه الصلاة والسلام الا تلقي هذه المصيبة بالصبر والاستسلام والاستعانة بالله على ما اصابه واحل به

واما سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام فقد مرت سيارة من جهة البئر الذى هو فيه فأتى واحد من القوم وادلى دلوه الى البئر لاخراج الماء فتعلق يوسف بالحبال فلما خرج ورآه اندهش اولا من وجود هذا الغلام في البئر وكيف انه حي وثانيا من جماله وحسن طلعته ولذلك بشر قومه بان هذا الغلام هو خير من تجارتهم اذا باعوه واخذوا ثمنه ثم اسروه بضاعة وذهبوا به الى مصر و باعوه الى اميرها وقد وصى الامير امرأته على يوسف بان تكرم مثواه عسى ان يكون لهم ذخرا و بارا بهم

ولما بلغ اشده وتكامل شبابه وقوته كان آية في الجمال ونهاية في حسن الطلعة فافتتنت فيه زوجة الامير وتعلق قلبها في محبته تعلقاً عظيما وتمكن فيها الوجد والغرام فاغتنمت ذات يوم فرصة اختلت معه (وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها)

هذه الاية الكريمة مما يجب الاعتناء التام بتحقيق معناها وتنزيه هذا

الرسول الكريم عن هذه النقيصة ولذلك قال علماء الاصول ان الهم همان هم بعزم واختيار كما وقع لامرأة العزيز وهم عارض وهو خطرات في القلب من غير عزم ولا اختيار كما وقع له عليه الصلاة والسلام وهذا لا يؤاخذ فيه العبد ما لم يعمل ولما ان رأى برهان ربه ابتعد عن الوقوع فى هذه النقيصة والبرهان هو النبوة فقد نبهه الله ساعتها ان الانبياء بعيدون عن كل رذيلة ومنزهون عن كل ما لا يليق بذواتهم الكريمة وانك انت من عبادنا المخلصين الذين اصطفيناهم للنبوة واخترناهم للرسالة فلذلك تركها واتى الباب ليخرج فبادرت ومسكت عليه الباب ومنعته من الخروج فسبقها يوسف خارج الباب فمسكت قميصه وهو خارج فانقد القميص وبينما هم فى تلك الحالة اذا بزوجها قد اقبل فاندهشت عندما نظرته فخافت التهمة فاحبت ان تنزه نفسها فسبقت يوسف بالشكوى وقالت له ماجزاء من اراد باهلك سوأ الا ان يسجن او عذاب اليم

فدافع سيدنا يوسف عن نفسه وبرهن بانها هي التي طلبت منه وشهد شاهد من اهلها وحكم حاكم وقال (ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) لما تحقق الامير ان يوسف بريء من هذه التهمة وان زوجته هي الطالبة منه امرها بان تستغفر لذنبها وتتوب والتفت الى يوسف وقال له اعرض عن هذا الحديث فلا تفشه ولا تحدث به حتى لا ينتشر بين الناس

فلم يكن غير قليل حتى شاع الامر وتحدثت فيه النساء فى المدينة فاحبت امرأة العزيز ان تثبت عذرها بان الذى دعته لنفسها هو احسن شباب اهل عصره زينة وكمالا وان النسوة اذا نظرنه عذرنها فجمعتهن علَى ضيافة وانتخبت اربعين من الطاهرات من النساء فحضرن وهيأت لهن المساند والفرش وجلست وسلمت لكل واحدة منهن سكينا لاجل تقطيع اللحم حين الاكل وكانت هذه

عادة في تلك الزمن وقالت ليوسف اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن لانهن رأين شاباً لم ير له نظير في العالم وكان ذلك الجمال العظيم ممزوجاً بالهيبة الكاملة والطلعة البهية ولذلك قلن (حاشا لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين) اباحت ما في ضميرها امام النسوة جميعاً بانه اذا لم يفعل ما تأمره به لا بد من سجنه واهانته فالتفت جميع من كان من النسوة وقلن له لاي شيء لم تطع مولاتك فاعمها الى ما تأمرك به فاختار عليه الصلاة والسلام السجن فسجن ودخل معه السجن فتيان احدهما عشي الملك الاكبر والثاني ساقيه وقد اشتهر يوسف في السجن بتعبير الاحلام فاتفق ان احدهما قد رأى رؤية قصها ليوسف فقال له اني رأيت في المنام اني اعصر خمرا وقال الآخر عَلَى سبيل الاستهزاء اني رايت باني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين فعبر لهما يوسف هذا المنام وقال لهما اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الاخر فيصلب فتأكل الطير من راسه والتفت الى من ظن انه ناج منهما وقال له اذكرني عند ربك ولما خرج انساه الشيطان ذكر ربه وسيده ولذلك لبث سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام في السجن بضع سنين كما جاء في الكتاب المبين ثم خرج منه خروجاً بشرف وعلو مكانة وذلك ان الملك الاكبر رأى رؤيا هاله امرها وكبر لديه خطبها فقد نام ذات ليلة اذ رأى منامه سبع بقرات سمان خرجن من البحر واعقبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال والضعف فابتلعن السمان ولم يظهر منهن في بطونهن شيء ثم رأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع سنبلات يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات عَلَى الخضر حتي علون عليهن ولم يبق من خضرتها شيء فجمع الملك السحرة والمعبرين وقص عليهم هذه الرؤيا وقال (افتوني في رؤياي ان كنتم

للرؤيا تعبرون) قد قضت ارادة الله تعالى بخروج سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن واظهار شرفه وفضله وعلو مكانته فجعل هذه الرؤيا سبباً لذلك فاجاب المعبرون الملك بعدم امكانهم تعبيرها وقالوا (هذه اضغاث احلام ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين) ولما رأى الذى نجا من السجن ان المعبرين قد عجزوا عن تأويل رؤيا الملك وتذكر وصية يوسف له ووعده في ذلك فقال (انا انبئكم بتأويله فارسلون) الى يوسف فارسلوه ولما اتاه قال له (يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون) منزلتك في العلم وفضلك في التعبير فاجابه يوسف وقال له (تزرعون سبع سنين دأبا) بجد واجتهاد (فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون) امرهم عليه الصلاة والسلام بحفظ الاكثر لوقت الحاجة والتصرف بالقليل حتى ينفعهم ما يدخرونه عند شدة الاضطرار اليه في السنين المجدبة ونبهم عليها بقوله (ثم يأتى من بعد ذلك سبع سنين شداد عَلَى الناس يشتد الغلاء والقحط (يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) الزيت والعنب والسمسم وغير ذلك من انواع الخيرات والبركات فيكثر الخصب وينمو الزرع وتنجو الناس من الكرب والشدة فرجع الساقى الى الملك وقص عليه تعبير يوسف فاستحسنه وعرف ان الذى قاله هو كائن لا محالة فقال (ائتوني به فلما جاءه الرسول) ابى ان يخرج من السجن الا باظهار براءته للملك حتى لا يراه بعين النقص فقال للرسول (ارجع الى ربك) اي سيدك الملك (واساله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن) ولم يصرح باسم امرأة العزيز احتراماً لها وروى البيهقي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (لو لبثت في السجن طول لبث يوسف لاجبت الداعى) في هذا دليل عظيم عَلَى صبر يوسف وقوة ثباته ثم رجع الرسول واخبر

الملك بهذه الرسالة فجمع النسوة ومنهن امرأة العزيز وقال لهن (ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه) هذا الخطاب لجميع الحاضرات وان كان مراد الملك امرأة العزيز وانما جعل ذلك سترا لها ثم اجبن الملك جميعاً و (قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين) حيث انى لما قدمت عَلَى هذه الخيانة فضحني الله (وما ابرئ نفسي) من مراودتى له ولا ازكيها في عموم الاحوال حيث (ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم) ولما تبين للملك عذر يوسف وعرف امانته وتحقق فضله وعلمه طلبه اليه وقال (ائتوني به استخلصه لنفسي) فأتى له الرسول ثانيا وطلبه فأتى واجاب وتمثل بين يدي الملك (فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين) لما نظر الى حسن ادبه ومعرفته بكل لغة يكلمه الملك بها مع حداثة سنه فاجلسه بجانبه وقال له لقد عرفت امانتك ومنزلتك و برائتك وصدقك واني اريد ان استوزرك واصطفيك لنفسي واجعلك امينا عَلَى ملكي فاجابه يوسف وقال له (اجعلني عَلَى خزائن الارض اني حفيظ عليم) فسلمه زمام ملكه ولما فوض اليه الامر اقام العدل واحيا البلاد ونفع العباد فاحبه الخلق وانقادوا اليه واجتمعوا حواليه ثم اخذ يبني الحصون ويشيد المخازن و يهيء اسباب الادخار وانفق المال واشترى فيها الحب وخزنه وملأ جميع مخازنه حتى انتهت السنين المخصبة ودخلت السنين المجدبة بهول وشدة فقام عليه الصلاة والسلام بهمة لا يعتريها ملل وحكمة مبرئة من الخلل ودبر الامور وارضى الجمهور فكان في تلك الايام لا يشبع الطعام وكان يقول اخاف ان شبعت انسى الجائع فاشتد الخطب وعظم الكرب وعم القحط سائر البلاد فقصد الناس مصر من كل جانب ومكان وكان يوسف لا يعطي احداً اكثر من حمل بعير تقسيطا ومساواة بين الناس

فنزل بآل يعقوب ما نزل بالناس فارسل اولاده الى مصر ليشتروا حباً فلما وصلوا
ودخلوا على يوسف فعرفهم وهم لم يعرفوه لطول المدة وتغيير الزى فلما رآهم كلمهم
بالعبرانية فقال لهم من انتم ومن اين اتيتم وما شأنكم فقالوا له نحن قوم من اهل
الشام رعاة اصابنا الجهد والجوع فجئنا نشترى حبوبا فقال اظن بانكم اتيتم جواسيس
تنظرون عورات بلادى فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو اب واحد
وابونا شيخ كبير صديق يقال له يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم فقال كم انتم قالوا
يا ملك كنا اثني عشر فذهب واحد منا الي البرية فهلك وكان احبنا الى ابينا
فقال مالى اراكم عشرة واين الباقى قالوا هو عند ابينا لانه اخو الذى هلك لامه
فابونا يتسلى به فقال ومن يعلم ان ما تقولونه حق وصدق فاتوني باخيكم الذي
من ابيكم حتى اعلم انكم صادقون فانا راض بذلك قالوا ان ابانا يحزن لفراقه
وسنراوده عنه قال فاتركوا واحدا رهينة عندي حتى تأتوني به فاقترعوا فاصابت
القرعة شمعون وكان احسنهم رأيا فى يوسف فخلفوه عنده ثم اكد عليهم بلزوم
احضار اخيهم وانذرهم بقوله (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون)
ثم امر فتيانه برد بضاعتهم في رحالهم وحكمة يوسف في رد البضاعة اولا انه خاف
ان لا يكون عند ابيه شيء آخر من المال لان الزمان كان زمان قحط وشدة ثانياً
انه رأى ان اخذ ثمن الطعام من ابيه في مثل تلك الوقت هو في نهاية اللوم والخسة
ثالثاً انه اراد ان يحسن اليهم بوجه لا يلحقهم به ضرر ولا حقارة فاراد ان يكون
ذلك عوناً لابيهم واخوته على شدة الزمان (فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا) انا
قدمنا على رجل عظيم احسن مثوانا واكرم نزلنا وعاملنا بجميع انواع البر والاحسان
فاجابهم يعقوب بانكم اذا عدتم اليه ثاني مرة فاقروه منى السلام فاين اخوكم
شمعون فقالوا له ارتهنه عنده واخبروه بالقصة وقالوا له (منع منا الكيل فارسل
معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من

قبل فالله خير حافظ وهو ارحم الراحمين) افهمهم بانهم ذكروا هذا الكلام بعينه يوم اخذهم يوسف وضمنوا له حفظه كما ضمنوا الآن فلما لم يحصل الحفظ والامان هنالك كذلك يكون هنا ولما نظر ان بضاعتهم ردت اليهم وسمع بان الملك اكرمهم واعز مكانهم وعلم ان ارسال بنيامين بات من الضرر ا قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم) فتهللوا جميعا (فلما اتوه موثقهم قال الله عَلَى ما نقول وكيل) ثم اذن لهم به فاخذوه واوصاهم بأن يدخلوا من ابواب متفرقة وذلك لانهم كانوا عشرة بغاية الجمال وحسن الحال فخاف عليهم من استلفات انظار اشقياء مصر فيؤذونهم ثم دخلوا من حيث امرهم ابوهم ووصلوا الى يوسف ودخلوا عليه فقالوا يا ايها الملك ها نحن اتينا باخينا الذى امرتنا باحضاره فقال احسنتم واصبتم ثم انزلهم واكرم نزلهم واضافهم واجلس كل اثنين عَلَى مائدة وبقى بنيامين وحيدا فنزلت دموعه عَلَى خده فجلس معه يوسف وجعل يؤاكله فلما جاء الليل امرهم بمثل ذلك بان ينام كل اثنين عَلَى فراش واحد ثم اخذ بنيامين عَلَى فراشه ولما خلى به قال له ما اسمك فقال بنيامين قال وما اسم امك قال راحيل قال فهل لك ولد فقال عشر بنين قال فهل لك اخ فقال كان لي اخ فهلك قال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك فقال ومن يجد اخا مثلك ايها الملك ولكن لم تلدك راحيل فبكى يوسف واظهر له حالته (وقال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى وها هو قد احسن الله الينا ونجانا من الهلاك وجمع بيننا ثم اوصاه بان لا يظهر الآن لاخوته شيئا من ذلك وفي الصباح دعا باخوته فوفى لهم الكيل وزاد لكل واحد حمل بعير ثم امر بسقايته فيجعلونها في رحل بنيامين ثم ارتحلوا راجعين الى بلادهم فلما جاوزوا العمران ناداهم الرسول (ايها العير انكم لسارقون) وهذا النداء هو من الرسول لانه بعد ذهابهم افتقد سقاية الملك فلم يجدها ولم يكن غيرهم فغلب عَلَى ظنه بانهم هم الذين اخذوها فلحقهم ولما

وصل اليهم قال لهم الم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوف اليكم الكيل وفعلنا معكم ما لا نفعله مع غيركم قالوا بلي وماذاك فقالوا قد فقدنا سقاية الملك ولم يأخذها غيركم (قالوا تالله ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين) وكان السارق في شريعة يعقوب يجازى بالاسترقاق سنة فيكون رقيقاً عند صاحب المال المسروق سنة كاملة جزاء سرقته وفعله (فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه) فجعل يفتش اوعيتهم واحداً بعد واحد فلم يلق فيها شيئاً فبقي وعاء بنيامين فقال رسول الملك اظن ان هذا الوعاء ما فيه شيء فقالوا والله لا نتركك حتى تنظر فيه فانه اطيب لنفسك وانفسنا فلما فتحوا المتاع وجدوا الصواع فيه فنكست اخوته رؤسهم من الحياء واقبلوا على بنيامين يلومونه و يقولون له فضحتنا وسودت وجوهنا ما زال البلاء لا يأتينا الا من جهتكم يا بني راحيل متى اخذت هذا الصواع فقال لهم بنيامين ما زال البلاء يأتى منكم لبنى راحيل ان الذى وضع البضاعة في رحالكم هو الذى وضع الصواع في رحلى ثم التفتوا الى الملك و (قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل) وهذا امر ليس بغريب منه فان اخاه الذى هلك كان سارقا ايضاً واما نحن فلسنا على طريقتهما لانهما من ام غير امنا (فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون) فلما تحققوا ان اخاهم لا بد ان يأخذه الملك ارادوا ان يستعطفوا خاطره فقالوا له (يا ايها العزيز ان له ابا شيخاً كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) فاذا اخذنا البرىء بذنب غيره فحينئذ (انا اذا لظالمون) فلا نأخذ بريئاً بذنب غيره وقد فعل سيدنا يوسف ما فعل لا عقوقاً لابيه ولا قطيعة رحم ولا قلة شفقة وحاشاه من ذلك كله

وانما كان مأموراً بذلك حتى يزداد ثواب يعقوب وتتضاعف له الاجور التي

هي على مقدار صبره على هذا البلاء وليلحق درجة آبائه الكرام عليهم الصلاة والسلام (فلما استيأسوا منه) وتحققوا نه لا يرده اليهم (خلصوا نجيا) بان خرجوا من عنده يتشاورون مع بعضهم (قال كبيرهم) وهو روبيل (الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف) حتى ضيعتموه (فلن ابرح الارض حتى يأذن لى ابي) فيدعوني اليه (او يحكم الله لي) برد اخي ولو بالقتال ومراده الاعتذار الى ابيه ولذلك اعقبه بقوله لهم « ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا » حيث شاهدنا اخراج الصواع من متاعه ورأيناه باعيننا « وما كنا للغيب حافظين » فلو علمنا انه يسرق ما اخذناه معنا وانما تعهدنا بحفظه من كل ما نستطيع حفظه منه ويحتمل ان يكون المراد من قولهم وما كنا للغيب حافظين التردد في وقوع السرقة من اخيهم لاحتمال ان يكون الصواع مدسوس في رحله وهو لا يعلم وهم لا يعلمون ايضاً فلما اتوا الى يعقوب واخبروه بهذا الخبر وقالوا له « واسأل القرية التي كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعاً » لانه لما اشتد الكرب تحقق اتيان الفرج فتناهى كربه واشتد بلاؤه وتجدد حزنه لان الحزن القديم اذا صادفه حزنا آخر حادثاً كان ذلك اعظم للهيجان واوجع للقلب

صدمت سيدنا يعقوب صدمة ثانية ذكرته الصدمة الاولى والصدمتان هائلتان كل واحدة اذا انفردت كانت مصيبة كبيرة تسل حبات القلوب ولذلك ابيضت عيناه من كثرة البكاء فلم يعد يبصر شيئاً وقد امتلأ قلبه حزناً وبلاء قد انحرم لذيذ المنام وهو ملازم البكاء حتي اتوه اولاده وقالوا « تالله تفتؤا تذكر يوسف حتي تكون حرضا او تكون من الهالكين » فانظر الى هذه القسوة وتأمل في هذه الغلظة فان ذلك لم يتأت صدوره من رجال عندهم ذرة من البر والحنان

وما ذلك الا نهاية العقوق والقسوة فهل يليق بمن كانوا على هذه الصفة ان يعدوا في مصاف النبيين المكرمين ولما رأى والدهم منهم هذه الغلاظة تنحى عنهم كما تنحى اولا « وقال انما اشكوا بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون » وقد ورد ان يعقوب كتب الى ملك مصر يقول له من يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الى ملك مصر اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء فقد كان لي بن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البريه ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي ثم كان لي ابن آخر وهو اخوه من امه وكنت اتسلى به والك حبسته وزعمت انه سرق وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد من يسرق فان رددته الي فانا لك من الشاكرين والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك

فلما قرأ يوسف كتاب ابيه اشتد بكاؤه وعيل صبره فلم يسعه الا ان اظهر نفسه الى اخوته وذلك انهم لما دخلوا عليه واعطوه الكتاب وقالوا له « يا أيها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين » قرأ يوسف كتاب ابيه وسمع من اخوته هذا الكلام فتجمعت فيه العواطف واستجمعت فيه رقة القلب فلم يتمالك نفسه حتى اظهر حاله فقال لهم « هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون » واعقب قوله بتبسم حتى ادركوا منه انه يوسف لا محالة فلذلك قالوا له « انك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا وأتوني باهلكم اجمعين ولما فصلت العير » وخرجوا من ارض مصر وتوجهوا الى ارض كنعان شم يعقوب رائحة يوسف فقال لولد ولده ومن حوله « اني لاجد

ريح يوسف لولا ان تفندون » اي تلوموني عَلَى كثرة الترداد بذكرى يوسف فبينما هم في الاخذ والرد حتى جاء البشير بالقميص والقاه عَلَى وجه يعقوب فرد الله بصره وعادت قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن ثم تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع اهله وسار فلما دنا من مصر وكان يوسف قد خرج مع الملك الاكبر لملاقاة ابيه في اربعة الاف من الجند وجميع اعيان مصر فاقبل يعقوب يتوكأ عَلَى يد ابنه فنزل يوسف يسعى لابيه فبدأه ابوه بالسلام وقال له السلام عليك يامذهب الاحزان فتعانقا وبكيا ثم دخلوا مصر جميعاً باحتفال شائق ولما اتوا محل الاستراحة رفع يوسف ابويه عَلَى العرش الذى كان يجلس عليه ثم خروا له سجدا والسجود هو الانحناء وكان ذلك تحيتهم « وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم »

اقام يعقوب في مصر هو واولاده عند يوسف في اهنأ عيش واحسن حال الى ان حضرته الوفاة فلما احتضر جمع بنيه وقال لهم ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الهاً واحدا فقال لهم يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ثم انه اوصي يوسف ان يحمل جسده الى الارض المقدسة ويدفنه عند قبر ابيه وجده وكان عمره مائة وسبعاً واربعين سنة

صادف يوم وفاة يعقوب وفاة اخيه العيص فنقلهما ودفنهما في قبر واحد وعاش يوسف بعد وفاة ابيه وعمه ثلاثا وعشرين سنة ثم حضرته الوفاة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة وولد له من امرأة العزيز ثلاثة اولاد وهم افرائيم وميشا ورحمة وهذه تزوجها ايوب وقد دفن في النيل ويقال ان موسى عليه الصلاة والسلام نقل جسده الشريف الى الارض المقدسة ودفنه بجانب آبائه

واجداده لكن هذا لم يثبت والله تعالى اعلم

ايوب عليه الصلاة والسلام

ارسل الله بعد يوسف ايوب عليهما الصلاة والسلام وهو رومى من نسل روم بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم بعثه الله الى حوران فلم يؤمن به الاثلاثة اشخاص اثنين من حوران وواحد من اليمن

كان سيدنا ايوب عليه الصلاة والسلام غنياً شاكرا قد بسط الله له الدنيا ووسع عليه الرزق الى درجة كبيرة فكان اغنى اهل زمانه وقد انعم الله عليه بكثرة الاهل والولد

وكان برا تقياً رحيما بالارامل والمساكين شاكرا نعم الله فابتلى بفقد اولاده وامواله ومرض مرضاً شديدا ومكث عَلَى ذلك زمناً طويلا وهو في غاية الصبر حتى اشتد عليه الحال تضرع الى الله تعالى وقال (رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين) فاستجاب الله منه هذا الدعاء وكشف عنه العذاب والبلاء (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين)

قد تمادى اهل القصص وتطاولوا في وصف مرض ايوب وعدوه انه كان جذاماً وانه وصل فيه الى درجة سلت لحمه عن عظمه وان الدود خرج من جسده وان الناس ابعدوه عن البلد ورموه بالكناسه وغير ذلك من الاقاصيص العجيبة والاخبار المكذوبة وكل ذلك افتراء و بهتان ما انزل الله به من سلطان

نزاهة الرسل وعصمتهم وسلامتهم من الضروريات فاما نزاهتهم فالمراد منها ترفعهم عما يحط بكرامتهم واحترامهم ولو من الجزئيات المباحات حسنات الابرار سيئات المقربين واما عصمتهم فالمراد منها عدم الوقوع في المعاصي ولو من الصغائر حتي والمكروهات وخلاف الاولى ايضاً قبل النبوة و بعدها واما سلامتهم

فالمراد منها سلامة اعضائهم واجسامهم من كل ما ينفر طبعاً كالجذام والعمى والبرص وهذا هو الواقع المقبول عقلا ونقلا لانهم عبارة عن رجال اصطفاهم الله وخصصهم من دون غيرهم بان يكونوا سفراء ورسلا الى اقوامهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فيجب ان يكون هذا النذير او الرسول معصوماً فلا يسمع عنه انه ارتكب في زمانه ما يوجب العار او النقيصة ويجب ان يكون منزهاً مرفوع الجانب فلم تعهد عليه انه ارتكب يوماً ما شيئاً يوجب الانتقاد ويجب ان يكون سليما بمعنى انه سليم الاعضاء من العلل الطبيعية والامراض السارية حتى لا تتباعد عنه قومه ولا تنفر منه طباعهم ولا تشمئز منه نفوسهم هذا هو القانون الالهي الجارى في صفة الرسل ولا يخفى ان هذا هو الواقع

فمرض سيدنا ايوب كان حمى عرضية حدثت له على اثر موت غنمه ومواشيه ثم اعقب ذلك هدم البيت على اهله واولاده وهذه العوامل تؤثر على النفوس البشرية طبعاً فمرض على اثر ذلك مرضاً اتعبه واكربه ومما زاده حزناً و بلاء فقد ماله وولده لان كثير المال والولد يكون مخدوماً مهيأ له اسباب الراحة بخلاف الفقير وهذا رجل كان اغنى اهل العصر مالا واكثرهم ولدا فاصبح فاقد الطرفين وقد ورد في الاثر (ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر) فهذا هو الضر الذى وقع فيه هذا النبى الكريم واي ضر اعظم من ذاك ثم صرفه الله عنه ورزقه مالا ورجالا ولله في خلقه شؤون ثم عاش ايوب بعد ذلك عيشة هنية مرضية الى ان مات وعمره خمس وتسعون سنة

﴿ شعيب عليه الصلاة والسلام ﴾

ارسل الله بعد ايوب شعيباً عليهما الصلاة والسلام وهو من نسل ابراهيم بعثه الله الى اهل مدين واصحاب الايكه في بلاد الشام ودعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام اساسها التوحيد وعدم الشرك وفروعها انهم كانوا ينظرون

اقبال الناس عَلَى اي نوع من انواع المفاسدفيبدأون بنهيهم عنه فيزيلونه ثم يتفرغون الى غيره فكان قوم شعيب مقبلين عَلَى بخس الميزان وتطفيف الكيل هذا كان رائجاً بينهم رواجاً هائلا فلذلك بدأهم شعيب به

كان القوم بخصب من العيش وسعة من النعم فلا حاجة لهم في تطفيف الكيل ونقص الميزان الا انهم من عدم المرشد وطمعهم واعتيادهم عَلَى ذلك انعكفوا عليه وصار ذلك عادة غريزية يصعب ارجاعهم عنها فبدأهم شعيب عليه الصلاة والسلام وقال لهم (يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) هذا هو الاصل في دعوة الرسل كما قلنا ثم قال لهم (ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير) من العيش ولا حاجة لكم بذلك و (اني اخاف عليكم عذاب يوم محيط و يا قوم اوفوا المكيال والميزان ولا تبخسوا الناس اشيائهم ولا تعثوا في الارض مفسدين) مناظرة هذا الرسول كمناظرة اخيه نوح عليهما الصلاة والسلام فقد اخلص لقومه النصيحة وكان لهم خير مرشد شفوق عليهم حريص بالنهي عَلَى مس عواطفهم وقد رأى من قومه خشونة وغلاظة كما رأى ذلك السيد نوح

قد كان شعيب عليه الصلاة والسلام موصوفاً بين قومه بالحلم والرشد والصلاح والقول السديد الا انه كان ضعيفاً رقيق القلب يتعذر عليه المنع عن نفسه فقالوا له (يا شعيب اصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او أن نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد) ومن كان كذلك لا يجوز له شق عصا قومه ومخالفته دينهم (قال يا قوم ارأيتم اني كنت عَلَى بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً) من المال والعلم والهداية والمعرفة والنبوة فهل يمكن ان اخونه في وحيه او اخالف امره واتبع الضلال وهل يليق بالحليم الرشيد ان يتبع الضلال فان كنتم قد اعترفتم بكمال عقلي واني لحليم رشيد فاعلموا اني اخترت (الاصلاح ما استطعت

وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب) كان اذا ذكر شعيب عند النبي صلى الله عليه وسلم يقول عنه (انه كان خطيب الانبياء) وان لهذه المناظرة اساليب عالية فقد استوفاها هذا الرسول الكريم كما استوفاها اخوه نوح ومع ذلك لم يصادفا من قومهما الا خشونة وعلاظة فقد قالوا هنا لشعيب (ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز) فاجابهم بقوله « يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله » فكان ينبغي عليكم ان تخافوا من الله اكثر من ان تخافوا من رهطي لان الله اهيب من الرهط واعظم فتوعدهم بالعذاب فلم يقلعوا عما هم عليه ولم يعيروا لانذاراته اذنا صاغية فاهلكهم الله بصيحة من السماء فارتجفت اعضاؤهم وماتوا كلهم

وانجي الله شعيباً والذين امنوا معه واصبح القوم في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها فذهبوا كأمس مضى ولم تعذب امتان بذنب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح الا ان صيحة قوم صالح كانت من تحتهم وصيحة قوم شعيب كانت من فوقهم .

سيدنا موسي عليه الصلاة والسلام

ارسل الله سيدنا موسي عليه الصلاة والسلام وهو ابن عمران احد احفاد لاوي بن يعقوب وذلك لما ان طغي فرعون وبغى وتمرد وتجبر واستبد في مصر وتكبر وتمادى في الطغيان حتى سول له الشيطان بان يدعي الالوهية فادعاها فنادى القوم « وقال انا ربكم الاعلى » فبعث الله اليه سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وامره بان يذهب الى فرعون و يدعوه الى عبادته وتوحيده فطلب موسى من الله ان يعطيه اربعة امور كي يقوى عَلَى هذه الرسالة و يكمل استعداده اليها لانه وجد في نفسه عدم الكفائة الا بهذه الامور وهي قوله « رب اشرح لي صدرى و يسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به

ازري واشركه في امري) فاعطاه الله سوءله و بلغه مطلوبه

وكان قبل ذلك قد جرى له امر اضطره الى الخروج من المدينة وهو انه قد دخل ذات يوم المدينه عَلَى حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته عَلَى الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه ثم ندم وتاب وقال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين

فاصبح موسى في المدينة خائفاً يترقب الاخبار فاذا لذي استنصره بالامس واستغاث به يستصرخه و يطلب معونته عَلَى رجل آخر فاقبل لينصره فظن انه يريد ان يقضي عليه فصاح وقال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفساً بالامس ان تريد الا ان تكون جباراً في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين ظن هذا الرجل ان موسى يريد قتله لكونه قد غره قبلا بقتل رجل ثم جاء رجل من المدينة يسعى الى موسى لينصحه بالخروج قبل ان يقع في يد فرعون فلما كلم موسى تحير الى اين يذهب فهام عَلَى وجهه وخرج من المدينة الى مدين ونزل تحت شجرة ثم ورد الماء فوجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان اي تحبسان الغنم فقال لهما ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء لاننا ضعيفتان لا نقدر عَلَى مزاحمة الرعاء فاذا سقوا سقينا من فضلة حاجتهم وما يبقي من الماء في حياضهم وابونا شيخ كبير فلما سمع موسى منهما التفت فنظر بئراً عليه صخرة عظيمة فرفعها واخذ دلوا وملأه وقال لهما قدما غنمكما فسقي لهما الغنم حتى ارواها ثم تولى الى ظل الشجرة وقال رب اني لما انزلت الى من خير فقير واخذ منه الجوع مأخذاً عظيما

ولما عادا الى ابيهما تعجب من سرعة اتيانهما في هذه الليله وسألهما فقالتا له وجدنا رجلا صالحاً فرحمنا وسقى لنا اغنامنا فقال لاحدهما اذهبي وادعيه الي .

فجاءته احداهما تمشي عَلَى استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فقام موسي فتقدمته وهو يليها فكره موسي ان يرى البنت فامرها بان تمشي ورائه وتدله عَلَى الطريق فما زال حتى دخل عَلَى شعيب فسأله عن حاله وقصته فاخبره الخبر وقال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت احداهما يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين وفي الحديث الشريف ان اصدق الناس فراسة امرأتان تفرستا في موسي الاولى امرأة فرعون حين قالت لفرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه والاخرى بنت شعيب حيث قالت لابيها ياابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين

فازداد فيه شعيب رغبة وقال له اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين عَلَى ان تأجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني انشاء الله من الصالحين في حسن صحبتك وعشرتك فرضى موسى ولما اكمل الاجل زوجه احدى بناته

وفي سيدنا موسي شعيباً واتم اكثر الاجلين اي عشر سنوات فاحب شعيب بره واكرامه فوهب له نسل غنمه في السنة الاخيرة وقال له اني وهبتك جميع ما تنسل غنمي في هذه السنة وما يرزقني الله منها فهو لك

وقد روينا عن ثقاة المؤرخين بان الغنم في تلك السنة ولدت مرتين ولم تكمل السنة حتى صار عدد غنم موسي اكثر من اغنام شعيب فتاكد شعيب بان موسى سيكون له حظ كبير وشان عال فدعا له بالخير والبركة واستأذن موسى بالانصراف الى مصر فاذن له وذهب واخذ معه زوجته وكانت حاملا فسار وهو غير عارف بالطريق في ليلة شديدة البرد شديدة الظلمة غزيرة المطر فوقع بحيرة عظيمة فلجأ الى جانب الطور الايمن فنظر من جانبه نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلى اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى حتى أستدل منه عَلَى الطريق فلما دنا منها

نودي من شاطي الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى فدهش والتفت فلم يرا احدا فنودي اني انا الله رب العالمين

سمع سيدنا موسى هذا النداء بكل اعضائه ولم يرا احدا فخفق قلبه وضعفت بنيته حتى صار بدرجة الاموات مما حصل له من التجلي فاراد الله ان يسكن فؤاده فقال له وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي فقال له القها حتى يتمرن فلا يفزع اذا نظر منها ما يخيفه ويرعبه فالقاها فاذا هي حية تسعى فخاف وولى مدبرا لما رآها تهتز فجسره الله وقال له اقبل ولا تخف سنعيدها كما كانت ثم قال له ادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى اذهب بهما الى فرعون فانه طغى فحذره نقمتي و بأسي وذكره آياتي وقل له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ان لفرعون حق التربية على موسى من جهة ومن جهة اخرى ان عادة الجبابرة العتاة اذا اتاهم امر بالقسوة ازدادوا عتوا واستكبارا والمقصود من هذه الرسالة النفع والنفع لا يتأتى الا باللين فلذلك أمر موسى به

افهمنا الله سبحانه وتعالى بالتزام اللين في اثناء الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو كان الآمر افضل الناس جاها ومالا والمأمور احقر الناس منزلة وفقرا

فانظر الى درجة هذين الرسولين الكريمين في النبوة والرسالة وانظر الى درجة فرعون هذا الجبار الكافر الذي علم الله منه عدم الايمان والاصرار على الكفر

ومع هذا كله فقد امرهما الله بان يقولا له قولا لينًا حتي يفهم من يتصدى للامر بالمعروف والنهي عن المنكر كيف يجب ان يتصف المتصدي لهذا المنصب السامي

ولا ابالغ اذا قلت ان ضرر الامة قد اتى لها من هذا الباب وقد اجمل الله لسيدنا موسي اولا وامره بان يقول لفرعون قولا لينًا ثم فصل له ما يقوله هو

وهارون بقوله (فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى) فلما بلغاه هذه الرسالة وتلطفا له بهذا اللين اجابهما بقوله (فمن ربكما ياموسى) ان هذا الجبار كان بغاية الكبر والعظمة كثير العسكر سريع البطش والقهر لكن لما نظر منهما اللين والتلطف بالمناظرة عدل الى اللين والتلطف بمناظرتهما ايضاً حرصاً على سمعته، حتى لا يقال عنه انه قابل البرهان بالطعان فقبل منه سيدنا موسى هذا السؤال واشتغل له باقامة الدليل عليه فقال (ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ولم يزل يستدرجهما و يورد لهما الادلة والبراهين وقد رأى منهما الآيات ومنها العصا حتى وجد نفسه عاجزاً عن اقناعهما بالمناظرة فادعى انهما ساحران وقد تعلما السحر واتياه لهدم ملكه وفساد دولته فقال (اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا انت مكاناً سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى) ثم ان فرعون جمع السحرة واخبرهما وقال (ان هذان الساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما و يذهبا بطريقتكم المثلى فاجمعوا كيدكم ثم أتوا صفاً وقد افلح اليوم من استعلى) وفي اليوم المعين اجتمع السحرة وقالوا (يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) رأى سيدنا موسى ان الميدان قد امتلأ من حبالهم وعصيهم فخيل له ان الارض كلها حيات وانها تسعى فخاف حينئذ فلما قيل له (الق ما في يمينك تلقف ما صنعوا) فالقى موسى عصاه فاذا هي اعظم من حياتهم فاخذت تزداد عظماً و كبراً حتى ملأت ساحة الميدان ثم صعدت وعلت فعلقت ذنبها بطرف القبة ثم هبطت فابتلعت جميع ما عملوه والناس ينظرون اليها ثم اقبلت نحو فرعون فاتحة فاها لتبلعه فصاح بموسى فاخذها موسى فاذا هي عصا كما كانت

اندهشت جميع السحرة من هذه المعجزة الكبيرة مع انهم كانوا في الطبقة العليا في هذا العلم واعتقدوا ان ذلك ليس بسحر لانه لم يظهر اعصيهم وحبالهم اثر فحينئذ قرروا ان هذه معجزة و يجب الايمان بصاحبها فخروا جميعا سجدا وقالوا امنا برب هرون وموسي هددهم فرعون بكل انواع التهديد وتوعدهم بجميع اشكال العذاب حتى يرجعوا خوفاً من ان يقتدي بهم احد فلم يعبأوا بذلك وتبعهم من الذين نظروا هذه المعجزة خلق كثير فاوحي الله الى موسى وقال له (اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى) اراد الله ان يخلص المؤمنين من استبداد هذا الجبار وان يميز الطائفتين عن بعضهم فامره بان يخرج بمن آمن و يبعدهم عن فرعون ثم ان موسى ضرب لهم طريقاً ودخل البحر ودخل معه المؤمنون (فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه وما هدى) وذلك ان فرعون لما رأى موسي دخل البحر تبعه متوهماً انه يسلكه كما سلكه موسى فاطبق الله البحر عَلَى فرعون وقومه فغرقوا جميعا واخرجهم الله من البحر موتى لاجل ان يرى المؤمنون اجسادهم فيزدادوا ايماناً ولذلك قال تعالى (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) هذا ولم تجف اقدام هؤلاء الاقوام من البحر حتي نسوا هذه النعم الجليلة وهي النصرة عَلَى العدو و بلوغهم الظفر والنصر فيهم وطلبوا من موسى طلباً يدل عَلَى فساد عقولهم وقصور ادراكهم وهو لما ان نجاهم الله تعالى وقال (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا عَلَى قوم يعكفون عَلَى اصنام لهم فقالوا يا موسي اجعل لنا الها كما لهم آلهة) اليس هذا هو نهاية الجهل وغاية الغباوة ولذلك اجابهم بقوله (انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون) افهمهم ان هذا العمل هو باطل و كذلك المعبود باطل لان مثل هؤلاء الاصنام المنحوته لاتستحق ان تكون آلهة وافهمهم بان الههم الله الذي لا اله الا هو ولما هلك الكافرون من بنى اسرائيل وغرقوا ورجع

المؤمنون الذين خرجوا مع موسي من البحر الى المدينة ولم يبق فيها الا الصبيان والنساء استولوا عَلَى اموالهم ومساكنهم وورثوها جميعاً (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوماً آخرين)

ثم امر الله موسي بان يختار من قومه سبعين رجلا و يسير الى ارض كنعان و يترك اخاه هرون فى قومه فذهب وتلقي عَلَى الجبل التوراة ثم اخبره الله بان القوم قد فتنوا وعبدوا العجل (فرجع موسي الى قومه غضبان اسفا) ولما وصل نهاهم فانتهوا ورجعوا لى الله وتابوا ثم جند منهم جندا وسار بهم الى الارض المقدسة وامرهم بدخولها فابوا بحجة ان فيها قوماً جبارين وانهم لن يدخلوها ما داموا فيها فدعى عليهم فتاهوا اربعين سنة لا يهتدون فيها الى الطريق

واما التوراة فهو كتاب جليل مقدس فيه احكام شرعية واوامر الهية انزلها الله عَلَى موسى وقومه ليعملوا بموجبها وفيها الكلمات العشرة وهي

عدم قتل النفس	بر الوالدين	تعطيل يوم السبت	كلمة التوحيد
(٤)	(٣)	(٢)	(١)
حفظ الجوار	اجتناب شهادة الزور	اجتناب السرقة	عدم الزنا
(٨)	(٧)	(٦)	(٥)
		ذكر اسم الله بكمال التعظيم	اجتناب عبادة الاوثان
		(١٠)	(٩)

اجتماع موسي بالخضر عليهما السلام

الخضر هو بليا بن بلكان وسمي بالخضر لاخضرار الارض من تحت قدميه وقد آتاه الله علما لدنيا والسبب في اجتماعه بموسى صلوات الله عليهما كما في البخاري وغيره ان موسي عليه السلام قام خطيباً في بني اسرائيل فسئل اي

الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لى عبدا
بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب وكيف لي به قال فخذ معك
حوتا فاجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم (اي هناك) فاخذ حوتا
وجعله في مكتل (زنبيل) ثم انطلق وانطلق معاه فتاه يوشع بن نون حتي اذا
اتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما فاضطرب الحوت في المكتل وخرج منه
وسقط فى البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وامسك الله عن الحوت جري الماء
فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت وانطلقا بقية
يومهما وليلتهما حتي اذا كان من الغد قال موسى لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من
سفرنا هذا نصباً قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امره الله به فقال
له فتاه ارأيت اذا آوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغ فارتدا عَلَى
اثارهما قصصا حتى انتهيا الى الصخرة فاذا برجل مسجّى بثوب ابيض فسلم
عليه موسى فقال الخضر واني بارضك السلام فقال انا موسى فقال موسي بني
اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي
صبرا يا موسى اني عَلَى علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وانك عَلَى علم مما علمكه الله
لا اعلمه فقال موسي ستجدني انشاالله صابرا ولا اعصي لك امرا فقال له الخضر
فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على
ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلموهم ان يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير
نول فلما ركبا السفينة فالتفت موسى الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة
بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق
اهلها لقد جئت شيئاً امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني
بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا قال رسول الله كانت الاولى من موسي

نسياناً قال وجاء عصفور فوقع عَلَى حرف السفينة فنقر من البحر نقرة فقال الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا مثلما نقص هذا العصفور من البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان عَلَى الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا ذكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا وهذه اشد من الاولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه فقال موسى قوم اتيناهم فلم يضيفونا ولم يطعمونا لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى وددت لو انه صبر حتى يقص علينا من اخبارهما اه

ثم شرع الخضر يخبر موسى بتاويل ذلك ويقول له (اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ) للتسخير «كل سفينة» صحيحة «غصباً فاردت ان اعيبها» حتى تصير غير صحيحة وغير صالحة للتسخير حتى اذا جاوزوا الملك اصلحوها وانتفعوا بها

واما الغلام فكان ابواه موءمنين فخشينا ان يرهقهما طغياناً وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة ـ وصلاحاً وتقوى ـ واقرب رحما ـ فيكون باراً بهما وذا عطف وحنان عليهما ـ واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا ـ لان الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته واهل دويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم ـ فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ـ بل فعلته عن امر الله والهامه اياي ـ ذلك تاويل

مالم تستطع عليه صبرا والصحيح ان الخضر لم يكن نبياً ولا رسولا وانما كان عبدا من عباد الله الصالحين وقدمات رضوان الله عليه واماماروي من انه حي للان فلم يثبت بل ان الثابت في الكتاب العزيز موته بدليل قوله تعالى لنبيه في القرآن العظيم (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) فكأن الله تعالى قال لنبيه ولو جعلنا لبشر من قبلك الخلد لخلدناك هذا من جهة ومن جهة اخري ان الخضر لو كان حياً لسعى الى الرسول صلى الله عليه وسلم واتبعه ونصره وصار من امته ولم يثبت شيء من ذلك والله اعلم

قارون

(ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) وظلمهم واستبد عليهم وتفاخر في كثرة ماله وعتى عتوا كبيرا وقد آتاه الله من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة فلا تقدر على حمل مفاتيح كنوزه فقال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين فلم توءثر فيه هذه المواعظ الجليلة فلو اتبعها لجمع بين الدين والدنيا وصار من المقربين لكن لم يزدد الا عتوا وطغياناً ولذلك خسف الله به وبداره الارض

هذه المواعظ الجليلة تتناول افراد اغنياء امتنا وتناديهم علنا (اولا) ان لا يفرحوا بما اتاهم الله من فضله حتى لا يلحقهم بطر وتكبر على الفقراء لان المال مال الله فاذا انعم به عليه فعليه ان يشكر مولاه ولا يصل الى درجة الكبر والعظمة على ابناء جنسه ثانياً اعلى الاغنياء ان يبتغوا في هذا المال الدار الاخرة فيصرفون المال الى ما يوءديهم الى شكر المنعم ويسلكون فيه طرق البر والاحسان (ثالثاً) فهو وان كان قدامرهم الشارع بان يلتزموا في انفاق المال طرق البر والاحسان والتصدق على المساكين والايتام ولكن افهمهم بانه لا بأس من تلذذهم بالنعمة وبسط العيش والتمتع في المباحات كالاكل والشرب واللباس والتنزه وغير ذلك من الامور بشرط ان لا

يصلوا في بسطها الى درجة التباهي والفخر على الفقراء البائسين الذين لا يملكون قوت يومهم وليلتهم من اخوانهم حرصاً على كسر عواطفهم وخواطرهم فقال تعالى (ولا تنس نصيبك من الدنيا) من بسط العيش والتلذذ بالنعمة لان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده (رابعاً) قوله واحسن كما احسن الله اليك يدخل فيه الاعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقاء وحسن الذكر ولئن شكرتم لازيدنكم (خامساً) نبه الله الاغنياء بأن لا يبغون في المال الفساد في الارض والفساد هو الظلم والبغي وغير ذلك من الامور المنكرة فاذا كان الغني متصفاً بهذه الاوصاف فبشره بانه قد جمع بين الدنيا والدين وكان من المقربين والمؤمنين المخلصين والا فقد عظم حسابه وسائت آخرته

(سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين)

لم تؤثر هذه الموعظة في قارون (فخسف الله به و بداره الارض) وقد تمنت طائفة من قوم موسى ان يكونوا مكان قارون في العز والجاه والسلطان والثروة وكانوا يقولون (يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم) ولما رأوا ان قارون قد اهلكه الله وخسف به و بداره الارض انزجروا عن حب الدنيا واظهروا الطاعة والانقياد لانبياء الله ورسله ورضوا بما قسم الله لهم من العيش وحمدوا الله على ذلك

البقرة

كان لغلام يتيم بقرة تركها ابوه له ميراثاً وكان ابوه صالحاً والولد باراً بوالدته فاراد الله سبحانه وتعالى ان يهيء لهذا الغلام اسباب الغنى والثروة فلما بلغ اشده واستوى وفر الله له الاسباب وفتح له الابواب و باع هذه البقرة لبني اسرائيل بملء مجلدها ذهباً

وسببه انه وجد قتيل من بني اسرائيل من اهل الثروة الواسعة وله ورثة ولم يعرف قاتله فاتهم الورثة بعضهم بعضاً حتى يحرم المتهوم من الميراث فاشتبك النزاع

ووقع الخصام فاتوا الى موسى عليه الصلاة والسلام وطلبوا منه ان يفصل هذه القضية فاوحي الله الى موسى ان يأمر القوم بذبح بقرة فامرهم بذلك فاندهشوا من هذا الامر لعلمهم بانه لا علاقة في قضيتهم وذبح البقرة ولذلك قالوا لموسى (اتتخذنا هزواً) نسألك عن امر القتيل وتقول لنا اذبحوا بقرة (قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) المستهزئين بالمؤمنين وان هذا امر الحي فلما علم القوم ذلك استوصفوا هذه البقرة فبينها الله لهم بانه لا بد وان تكون صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وانها لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها فتحروا علَى بقرة بهذه الاوصاف فلم يجدوها الا عند هذا الغلام الذي قدمنا ذكره فاشتروها بملء جلدها ذهباً وذبحوها وامرهم بان يضربوا القتيل ببعضها فقام باذن الله حياً واخبرهم بقاتله ثم انقلب سريعاً ميتاً

ولم يزل سيدنا موسى وهارون يعالجان في بني اسرائيل و يتحملان منهم ما لا تحمله البشر الا انهما كانا في غاية الثبات والصبر حتى ادركتهما الوفاة فقد توفي هارون اولا ثم اعقبه موسى عليهما الصلاة والسلام

قد ذكر القصاصون واهل السير في كتب القصص حكايات لا اصل لها منها ان موسى لما اتاه ملك الموت فقأ عينه وقلعها ثم هرب منه ملك الموت وشكا امره الى الله وغير ذلك

ومنها هذه القصة الشهيرة المسماة بمناجاة موسى فان فيها من الكفر والضلال المنسوب لهذا الرسول الكريم ما تبرأ منه صغار العقول كمناجاته لله بقوله (كم لك في الالوهية) (وهل انت تنام يا رب) وغير ذلك من الهذيان الذي ما انزل الله به من سلطان فتحرم قطعياً مطالعة هذه القصص و يكفر معتقدها لما فيه من نسبة نهاية الجهل الى هذا الرسول الكريم و يترتب علَى ذلك نسبة العبث وعدم الحكمة لله لانه خصه بالرسالة و ينبغي ان يكون الرسول متحلياً بالفطانة وهي من

الصفات المهمة للرسل ولا يمكن ان يكون رسولا من غير ان يكون خير عصره عقلا وفطانة ومعرفة الرسول بربه هي شرط اولي من شرائط الايمان فكيف يتأتى ان يحوز منصب النبوة بل منصب الرسالة وهو جاهل بربه جهلا يجره الى هذه الاسئلة الباردة التي لا يتجاسر عليها صبيان المكاتب الى معلميهم والله تعالى اعلم

يوشع عليه السلام

ارسل الله بعد موسي وهارون يوشع عليهم الصلاة والسلام فجيش له جيشاً وسار به وقطع نهر الشريعة وحاصر اريحا واستولى عليها ثم سار الى البلقاء وحاصرها وهلك خلق كثير من بني اسرائيل بالطاعون فضجوا بالتوبة والدعاء الى الله فازاله عنهم ثم توفي يوشع عليه السلام

شموئيل عليه السلام

قد تولى امور بني اسرائيل بعد موسي عدة انبياء واخرهم هذا النبي الكريم واليه اشار الله بقوله (الم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم « وهو شموئيل » ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا ومالنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فسأل الله تعالى بأن يبعث لهم ملكا فبعث لهم طالوت واخبرهم بان الله قد بعث لهم طالوت وان طالوت كان بينهم رجلا فقيرا ولذلك اندهشوا لما ملك امرهم مثل هذا الفقير وقالوا لنبيهم وكيف يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يوءت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم قالوا فما آية ملكه قال لهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت وهذا التابوت هو ذخيرة عظيمة من ذخائر بني اسرائيل واثر نفيس من آثار انبيائهم وفي التابوت صحف فيها حث

عَلَى السكينة وفيها ايضاً بقية مما ترك آل موسى وآل هارون فلما اتاهم به حمدوا الله تعالي وانقادوا الى هذا الملك واجتمعوا عليه واقروه عَلَى ملكه

فدعا طالوت اشداء القوم وعقد راية الى داود وجعله قائدا عَلَى الجيش ثم جهز جيشاً وامره ان يزحف به عَلَى جالوت ولما برزوا له (قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا عَلَى القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت ثم تحدث الناس بقوة داود وفروسيته وهيبته واحبه طالوت محبة عظيمة وزوجه ابنته و بقيت محبة داود عليه السلام مغروسة في افئدة القوم ولم تزل في ازدياد حتى مات طالوت وبايعوا بعده داود عليه السلام

داود عليه السلام

بعث الله داود عليه السلام وقد جمع بين الرسالة والملك ولذلك قال الله له « يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق» و يتصل نسبه الى يهوذا بن اسحق بن يعقوب بن ابراهيم وقد وسع الله ملكه واتاه الحكمة وجودة الرأي والفطنة وفصل الخطاب بمعنى انه اذا حكم بحكم لم يدع لاحد فيه مقالا ولا اعتراضاً لانه حكم الهي ووحي انزله الله عليه ولذلك عمم العدل بين القوم فاحبوه وانقادوا اليه واجتمعوا حواليه وسخر الله له الجبال والطير والان له الحديد وعلمه صنعة الدروع فكان الحديد يلين بيديه فيعمل منه ما شاء وقد قوى الله سلطانه وشد ملكه وقد ذكر القصاصون وحملة الاخبار عن هذا الرسول الكريم امورا لا يمكن صدورها ممن كان عنده ادني شيء من المروءة والشهامة ولا يفعلها الا من كان مجردا عنهما وهو انه عشق امرأة جاره فعرض زوجها للقتل عمدا ليتزوجها مما يفعله السفهاء المهتوكين و يترفعون عنه اهل البر والتقوى فما بالك برسول من خيرة ارسل اوحى الله اليه كتابه واجرى عَلَى لسانه كلامه وهو منزه عما لا يليق ٠

وقد تمسك بعضهم بان هذه القصة وتعية واستدل بامرين « الاول » قوله تعالى فغفرنا له ذلك وقال بان الغفران يقتضي سبق ذنب فلو لم يقع من سيدنا داود ذنب لما قال تعالى نغفرنا له ذلك « والثاني » قصة الذين تسوروا المحراب بدعوى ان احدهم له تسع وتسعون نعجة وان الآخر له نعجة واحدة الى اخر القصة وان هؤلاء الملائكة ما اتوا الا لتقريع داود وتفهيمه الذنب الذي صدر منه وانه ظالم في ذلك ومتعد

فاما الجواب عن الاول فنقول اولا ان الاستغفار هو فعل خير والانبياء هم اولى الناس بهذه الافعال الكريمة ثانياً اننا قد ذكرنا ان الله تعالى بسط لسيدنا داود العيش واعز سلطانه واستخلفه في الارض والان له الحديد وغير ذلك مما لم يؤته احد قبله فظن بان هذا فتنة له فاستغفر الله من هذا الظن فغفره له

واما الجواب عن الثاني فهو ان الذين تسوروا المحراب هم من البشر وليسوا ملائكة وانهم خصمان حقيقة بغي احدهما على الآخر وان احدهم له تسع وتسعون نعجة والثاني له نعجة واحدة والقضية على ظاهرها ولم يكن لها مضمون آخر فقضى بينهما وهذا هو الواقع والله الهادي الى سواء السبيل

سيدنا سليمان

ارسل الله سليمان بعد والده عليهما الصلاة والسلام وقد عهد له ابوه بامر الخلافة وقد اجتمع له الملك والرسالة كابيه الا ان الله تعالى وسع لسليمان عليه الصلاة والسلام بالملك اكثر من ملك داود فقد علم الله سليمان منطق الطير واطاعه العالم باسره وسخر له الريح تجري بامره حيث شاء وسخر له الجن فكانوا يعملون له ما يشاء وقد ملك الدنيا شرقا وغربا بلا حرب ولا قتال فكان كلما بلغه عن ملك يرسل اليه و يأمره بالانقياد الى حكمه فينقاد حالا و يسلم له ولا يتوقف حتي ان الهدهد اتاه من سباء ذات يوم واخبره بان امرأة قد ملكت تلك

الديار وانهم كفار يعبدون الشمس من دون الله فارسل حالا كتابه الى هذه الملكة وهذا الكتاب المستطاب قد قصه الله علينا في كتابه الكريم وهو من احسن الكتب وارقها مع ما انطوى عليه من الاختصار والبلاغة ولا شك ان سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام كان جامعا عزة السلطان والقوة والمنعة وفصل الخطاب فكتب لها بسم الله الرحمن الرحيم « ان لا تعلوعلي واتوني مسلمين » كتاب بغاية الاختصار ونهاية البلاغة قد حوى كل ما لا بد منه في الدين والدنيا وقد دل دلالة تامة عَلَى التوحيد والنبوة فقول سليمان فيه « بسم الله الرحمن الرحيم » هو اثبات تام عَلَى ان الله حي قادر عليم مختار رحمن رحيم وقوله ان لا تعلوعلى نهى عن الانقياد لطاعة النفس والهوى والتكبر وقوله واتوني مسلمين يعنى منقادين وقد ارسله مع الهدهد والهدهد هو معجز لان الذي يمكنه ان يستخدم الطير في مصالحه ورسائله الى حيث شاء لا يرتاب عاقل في صدق دعواه النبوة والرسالة فذهب الهدهد بهذا المكتوب والقاه الى بلقيس ملكة سباء ولما فتحته وقرأته جمعت روساء قومها وامرائهم واهل الحل والعقد فيهم واخبرتهم بهذا الكتاب وقصت عليهم القصة وطلبت منهم ان يمدوها برأيهم وهذا تطييبا لنفوسهم وتنشيطا لهممهم فقابلوها بما يشف عن همة عالية وانقياد تام قد اظهروا لها نهاية الخضوع وغاية الطاعة فقالوا « نحن اولوا قوة واولوا بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين » ولم يكن جواب احسن من هذا الجواب فقد اظهروا لها انهم تحت امرها في حالتي الحرب والسلم فان امرتهم بالحرب وجدت قوماً اشداء اقوياء وان امرتهم بالانقياد والتسليم فلا يخالفونها فابدت رأيها الى القوم وقالت لهم « ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة » اخبرتهم ان هذا هو عاقبة الحرب وانها تريد ان ترسل هدية وتختبر هذا الرسول بأن كان يقبل الهدية ام لا فينكشف لها غرض سليمان فارسلت له هدية ثمينة فلما

وصلت ردها سليمان واخبر الرسول بانه لا يكترث بالمال وقال له (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون) ويقعوا في ذل الاسر والاستعباد بعد ان كانوا في عزة الملك وقوة السلطان فلما بلغها الرسول هذه الرسالة قالت لقومها والله لقد عرفت باننا ما لنا طاقة بحربه وانه لم يكن ملكاً وما هو الا رسول ثم ارسلت له مرة ثانية تقول له اني قادمة عليك بملوك قومي لانظر ما الذي تدعوننا اليه من دينك فاراد سليمان ان يظهر لها معجزة عظيمة ليدلها على كمال قدرة الله وعظمته ويضم هذه المعجزة الى الدلائل التي مرت في اول دعوتها وقد ارسل الهدهد يقتفي اثرها الي ان صارت قريبة من الدخول الي مدينة سليمان فطلب سليمان من اهل الحل والعقد من وزرائه وقال لهم (ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر ومن شكر فانه يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم) فاراد سليمان اظهار معجزة كما قلنا فحدث قومه فوجد ان اقوى القوم واشدهم على احضار العرش يأتي به من قبل ان يقوم من المجلس ولما احضره حالا قبل ارتداد الطرف بين للقوم طول يده وقوة سلطانه فازداد به القوم ايماناً فكانت هذه المعجزة لقومه ولبلقيس وقومها ايضا وان الذي عنده علم من الكتاب هو سليمان قطعاً وهو الذي اتي بالعرش بلا تردد لانه لما قال له العفريت انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك فاجابه سليمان بقوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما حضر العرش امر القوم بان ينكروه لها ويجعلوه بغير الهيئة التي كانت تعرفه بها ثم لما وصلت ودخلت مع سليمان القصر اراها العرش وقال لها (اهكذا كان عرشك قالت كأنه هو) وفي جوابها دليل

وقد كان سيدنا سليمان قبل قدومها بنى عَلَى الطريق قصرا من زجاج يشبه الماء سقفا وارضا ثم اجرى من تحت القصر الماء والقى فيه السمك فكان الماء يجرى من تحت القصر والارض شفافة يري من تحتها المأء يجري والسمك يلعب ثم وضع سريره في صدر القصر ليوقع الهيبة في قلبها ويزيدها استظعاما لأمره وتحقيقا لنبوته فلما قدمت وارادت العبور من تلك الارض كشفت عن ساقيها لتخوض الماء فقيل لها انه صرح ممرد من قوارير فاستترت وعجبت من ذلك واندهشت وقالت حينئذ (رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين) واختلف فيمن تزوجها والمشهور ان سليمان قد تزوجها لكن ليس في ذلك دلالة من الكتاب ولا من السنة وقال ابن عباس ان سليمان زوجها باختيارها لملك همدان وردهما الى اليمن وولاه الملك

فتنة سليمان والقاء الجسد عَلَى كرسيه

قد عهد سيدنا داود الملك الى ولده سليمان عليهما الصلاة والسلام مع وجود من هو اكبر منه سنا من بقية اولاده وذلك بوحى من الله تعالى لأن ارادته اقتضت بأن يكون الخليفة والرسول بعد داود سليمان فلم يرق ذلك في اعين بعض الاقوام من المتعصبين الى الاكبر من اولاد داود الا ان هيبة داود وشدة سلطانه منعتهم من مقاومة سليمان بحياة والده فانتظروا موت داود وعند احتضاره اشيع موته فانتهزوا الفرصة وقاموا بثورة عظيمة تجمعوا فيها وخلعوا سليمان وولوا اخاه الاكبر فاتفق ان داود قد غشى عليه ولم يمت ولما افاق سمع ضجة هاله امرها فسأل عنها فأخبروه بما وقع فطلب زعماء الثورة وحذرهم وانذرهم مخالفة اوامر الله وانه لم يعهد لسليمان الا بأمر من الله وطلب بأن يبايعوه فبايعوه باخلاص ورجعوا عما هم عليه فهذا هو الجسد الذي جلس عَلَى كرسى سليمان وهذه هي الفتنة التي تطاول القصاصون وذكروا فيها امورا تخجل وجه الانسانية ويحمر لها وجه الآداب لأنهم قالوا عن الجسد

انه جنى وقد اختطف خاتم سليمان وان الملك كان بالخاتم فأي رجل لبس الخاتم ملك ملك سليمان فأراد الله ان ينزع الملك من سليمان لذنب صدر منه فأسقط من يده الخاتم والتقطه الجنى وجلس عَلَى كرسيه اربعين يوما وصار الجنى يحكم بين الناس وتزيا بزي سليمان حتى ان بعض الوزراء اشتبه يوماً في امر هذا الملك فسأل حريم سليمان عنه وعن معاملته معهن فأجابته احد النسا بأنه كل اعمال سليمان لم تختلف معنا في شيء من معاملته الا ان هذا يأتينا بالحيض نعوذ بالله من قائل هذا القول ونتبرأ الى الله من ناقليه الذين لا يخافون الله ولا يراعون لرسله وانبيائه ادبا ولا حشمة فقد اسندوا الى هذا لرسول الكريم هذه النقيصه التى تسقط المروئة وتنزع النخوة وتفقد الشهامة ونسبوا اليه نقيصة ثانية ايضاً وهي عند قوله تعالى عَلَى لسانه (اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها عَلَى فطفق مسحا بالسوق والاعناق) فذكروا بانه قتل الخيل حيث اشغلته عن الصلاة فكيف يتاتي بالله ان يقتل خيلا لا تعقل ولا تفهم ويسندها هذا لذنب افليس هذا ضرب من الجنون حيث قتل من لا ذنب له اولا واتلف مالا منتفعا به ثانيا واضاع صلاة مكتوبة عليه ثالثا وهو نبى مرسل من خيرة الرسل الكرام افلا يتبرأ الى الله من هذه الافترائات والاكاذيب كل من كان عنده ادني مسكة من العلم والعقل والدين اللهم ان هذا الا اختلاق وبهتان من اهل الكفر والطغيان واما هذه الآية فهي عَلَى ظاهرها بلا تاويل وهو انه عليه الصلاة والسلام احب الخير من اجل ذكر ربه حتي توارت تلك الصافنات الجياد بحجابها ثم امر بردها فجعل يمسحها بيده عَلَى بدنها واعناقها على سبيل البر والاحسان الى الخيل واكرامها ولم يكن في الآية ادني اشارة من قتل الخيل وتعطيل الصلاة كما يفهمه اهل العدل والانصاف وهذا هو المعقول والله تعالى اعلم

يونس عليه السلام

هذا الرسول الكريم عليه السلام هو من سبط بنيامين وامه متي قد نسب اليها ولم ينسب احد من الانبياء الى امه الا يونس وعيسى عليهما السلام بعثه الله الى فلسطين لهداية قوم عكفوا على عبادة الاصنام فنهاهم عن عبادتها فلم ينتهوا وكان عليه السلام حديدا سريع الغضب قد هدد قومه بانزال العذاب عليهم فتأخر فظن ان الله تعالى لن يقضي عليهم بالعذاب فخرج هاربا ولهذ اخرجه الله من زمرة اولى العزم لأن لأولى العزم عليهم الصلاة والسلام صبرا وثباتا وتحملا على المشاق والمكاره لم يطقه غيرهم من الرسل وهذا سر قوله تعالى لنبينا عليه الصلاة والسلام (فاصبر كما صبراولوا العزم من الرسل) وقال له ايضاً (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم) .

خرج يونس عليه الصلاة والسلام مغاضبا فانطلق الى سفينة فركبها فكبر عليهم البحر فوقفت السفينة وحالتها تنذر بالخطر فاتفق اصحاب السفينة على القاء واحد في البحر فاقترعوا ثلاث مرات ولم تخط القرعة يونس فالقوه في البحر فالتقمه الحوت حالا فمكث في بطنه ثلاثة ايام وقد اوحى الله الى الحوت ان التقمه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فالتقمه وبلغ به قعر البحر فنادى في الظلمات ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وكان نداوءه (لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين) ثم اخرجه الله من بطن الحوت حيث استجاب دعائه وتقبل توبته ولما علم به قومه اتوه بموكب حافل وامنوا به عن اخرهم وقد قدر عدد من ارسل اليهم بمائة الف وكانوا من اهل فلسطين كما قلنا ولم يزالوا في صفاء عيش وهناء بال حتى توفي يونس عليه الصلاة والسلام

زكريا وابنه يحيي عليهما السلام

زكريا من نسل سليمان عليهما السلام تزوج ايشاع بنت فاقوز وهذه كانت اخت حنة ام مريم وحنة كانت متزوجة بعمران وعمران هذا هو غير عمران ابي موسى اذ ان بينهما ما يزيد عن الف وثلاثمائة سنه واما سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام فقد كبر ولم يرزقه الله ولدا يخلفه من بعد، فدعا الله تعالى ذات يوم وقال (رب اني وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا) قدوهن جسمي من الكبر وضعف عظمي وابيض شعري والجمال اني لم اكن بدعائك رب شقيا فقد عودتني الأجابة ولم تخيبني اصلا فيما ادعوك به وقد خفت الموالي من ورائي يضيعوا دينك ويغيروا احكامك فهب لى من لدنك وليا يرثني النبوة والحكمة واجعله رب رضيا براتقيا فاستجاب الله دعائه وناداه وهو قائم يصلي في محرابه يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيي لم نجعل له من قبل سميا يعنى لم نسم احدا يحيي من الانبياء قبله فقال يا رب كيف يكون لى ولد وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا من نحول الجسم ورقة العظم وضعف الجلد وصرت كالعود اليابس فقال له الوحى كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا فطلب زكريا علامة لحمل امرأته فقال له الوحي علامتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فلا تقدر ان تكلم احدا وذلك من غير علة ولا خرس ولا عقل لسان فلا تتمكن من التكلم في هذه المدة الا رمزا ولما خرج زكريا من المحراب وجد القوم ينتظرونه كعادتهم لأجل ان يتعظوا بمواعظه ويأتمروا بأوامره فاوحى الله اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا فحملت ام يحيي به وفى نهاية الحمل ولدته وربته تربية حسنه فشب يحيي عليه الصلاة والسلام شبابا حسنا فكان في نهاية الادب وغاية الجمال اعطاه الله تعالى فهما قويا وفطنة وذكاء لم يعطه لاحد قبله واتاه الحكم صبيا على خلاف المعتاد لان الله تعالى لم يرسل رسول الا على راس

الاربعين فكان ارسال يحيي بسن الشبوبية امرا خارقا للعادة ولله في خلقه شئون فسبحانه الفعال لما يريد

ان سيدنا يحيي عليه الصلاة والسلام بلغ وهو صبي ما بلغه غيره من اخوانه المرسلين وهو كبير فكان اذا وعظ تنسل لوعظه حيات القلوب وكان لوعظه تأثير عظيم في قلوب القوم

وقد ذكر المؤرخون في اسباب قتله امورا اصحها ان ابنت الملك قد احبته محبة عظيمة فراودته ذات يوم فامتنع ووعظها بأن لا تتعرض له ولا لغيره فخافت ان يفشي امرها لأبيها فأرسلت من قتله واتى لها برأسه

وادعت انه هو الذي راودها واطلع عليه بعض اهل الغيرة عَلَى الملك فقتله الأمر الذي دعا الملك ان يتعقب اباه ليقتله ايضاً فبلغ زكريا قتل ولده وان الملك يتعقبه ليقتله ايضاً فخرج من المدينة هاربا فرآه جنود الملك ولحقوه فنظر زكريا امامه شجرة فدخل في جوفها فأسرعوا بمنشار ونشروا الشجرة فصار زكريا قطعتين

فيا ويل هؤلاء القوم ويا خسرانهم ما اكفرهم وما أقسى قلوبهم فقد غضب الله عليهم ولعنهم واعدلهم عذابا اليما وسلط الله من قتلهم ومثل بهم ورمى باجسادهم الى الكلاب وهذا جزاء ما جنته ايديهم

عيسى عليه السلام

قد افتتن في هذا الرسول الكريم خلق كثير لانه قد اتى من غير أب عَلَى خلاف العادة البشرية لان الله قد جعله اية للناس فمثله كمثل ادم فكما ان سيدنا ادم قد اتي من غير ذكر وانثى فسيدنا عيسي خلقه الله من غير واسطة ذكر وهذا ممكن غير مستحيل عَلَى الله تعالى فهو الفعال لما يريد وقد شهد القران المجيد الذي نعتقد انه كلام الله المنزل عَلَى نبيه محمد صلي الله عليه وسلم ونؤمن بكل حرف

من حروفه وبكل قصة من قصصه انها حق وصدق لاغبار عليها ان السيدة مريم عليها السلام قد حملت بعيسى من غير ذكر حيث قد اوحى الله اليها من بشرها من الملائكة بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وهو من المقربين فاندهشت من هذه البشري لعلمها ان ذلك لا يتأتى الا بواسطة ذكر ولم يمسسها ذكر فقال (كذلك قال ربك هو عَلَى هين ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا) فحملته والصحيح ان مدة الحمل كانت ثمانية اشهر ليكون ذلك معجزة اخري حيث كل من يحمل في هذه المدة لا يعيش وسيدنا عيسى قد عاش ولما ولدته كبر ذلك عَلَى قومها ورموها بما لا يليق وازداد حديث القوم في ذلك فلم تجد دليلا معقولا تحاجج القوم وتبرء نفسها ولا برهانا تقيمة لتزيح ما الصق في عرضها فأشارت الى سيدنا عيسى وهو في المهد ليكلم القوم ويبرء امه فغضب القوم من ذلك وظنوا بانها تستهزأ بهم ولذلك قالوا لها (كيف نكلم من كان في المهد صبيا) فلما سمع سيدنا عيسي كلامهم اقبل عليهم بوجهه واشار لهم بيده وقال (اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام عَلَي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا)

بهت القوم لما ان سمعوا من سيدنا عيسي ما سمعوا واندهشوا حيث لا يؤمل صدور ذلك من رجل محنك فكانت هذه الحجج اكبر عامل لتبرئة امه واي معجزة اكبر من تكلم صبي لم يأت عَلَى ولادته سوي بضع ايام اللهم ان هذه لفى غاية القوة الدالة عَلَى برائة هذه السيدة المصونه وان هذا الرسول الكريم هو كما قلت في كتابك المكنون بانه اذا اردت امرا قلت له كن فيكون

تربى سيدنا عيسى عليه السلام في حجر امه فنشاء نشاة صالحة مهذبة واتاه الله الحكم صبيا وقد شب عليه السلام شبابا حسنا فكان لين الجانب حسن العاطفة

رقيق الطبع مطبوعا علَى الفضائل الكاملة مغروسا به حسن الشمائل وقد خصصه الله باخلاق فاضلة عالية وانزل عليه الانجيل وكله اخلاق وسير ومواعظ وعبر ولم يات فيه احكام في المعاملات لان التوراة كافية وافية فامره الله بأن ياخذمنها احكام المعاملات حيث قد كانت موافقة لروح عصره ايضاً

معجزاته عليه السلام

قد كان عليه السلام يبراء الاكمه والابرص ويحيي الموتي بأذن الله وقد كان ينبئ القوم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم وقد كان يخلق من الطين كهيئة الطير فيعملها طيرا فتصير طيرا ذا روح بأذن الله وقد ورد في بعض الاثار انه كان يمشي علَى الماء ايضا وهو غير بعيد لأنه قد اتي بمعجزات اعظم من ذلك عليه السلام

ذكر المائدة

طلب الحواريون من عيسى عليه السلام ان يسأل الله تعالى بأن ينزل عليهم مائدة من السماء تكون لهم عيدا لاولهم واخرهم ويأكلون منها وتطمئن قلوبهم فسأل الله ذلك فقال له (اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين) فلما سمع القوم هذا الوعيد الشديد وهذا التهديد الاكيد خافوا من صدور ذنب من احدهم بعد نزول المائدة فاستعفوا من هذا الطلب وتركوه هذا الذي ثبت لدينا ولم نر في القرآن المجيد ما يدل علَى نزولها ولم يأت ايضاً في السنة شيء صحيح يصح به الاستدلال علَى نزول هذه المائدة والله تعالى اعلم .

الاسلام وقصة الصلب

الاسلام ينفي وقوع الصلب لسيدنا عيسى صلوات الله عليه وعلَى نبينا كما جاء في الايات البينات الصريحة (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) والقصة قد ذكرها المؤرخون وهي ان رهطا من اليهود اجمعوا علَى قتله وصلبه فلما وقع

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00507890

A.U.B. LIBRARY

بين ايديهم تكاثروا عليه وهموا بقتله وصلبه فدخل في خوخة كانت قريبة منه ومن داخل الخوخة روزنه فصعد عليها واخفاه الله عن اعينهم وكان رجل منهم يشبهه تماما في الصورة والهيئة فدخل ورائه في الخوخه لاجل ان يقبض عليه ولم يمكنه من الفرار والقوم لم يعلموا بدخول الثانى فأمر رئيس القوم ان تدخل طائفة الى الخوخه لاخراج سيدنا عيسى فدخلوا فلم يروا الا هذا اليهودي فاشتبهوا به وظنوه عيسى لاسيما وان هذه الواقعه حصلت ليلا فمسكوا هذا اليهودى وقتلوه وصلبوه وتركوه مصلوبا فهذا غاية ما ذكره المفسرون واهل الثقه من المؤرخين وقد حماه الله وحفظه من مكر اليهود وان الرجل الذي كان احرص القوم علَى قتله وصلبه ودلهم عليه وارشدهم الى كيفية الوصول الى اذيته ورتب لهم الترتيب اللازم هو الذي شبهٔ الله به وهو الذي قتل وصلب فكأن جميع ما دل وارشد ورتب عاد عليه فكان كالساعى علَى حتفه بظلفه فسبحان المنتقم الجبار ولا اله الا هو الواحد القهار لا معبود سواه

واما سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فقد رفعه الله اليه بكمال التعزيز والاحترام ولم ينله سوء قطعيا وانه ينزل اخر الزمان لأجل ان يجدد النهضة الاسلاميه و يحكم بالشريعة المحمدية يحق الحق و يبطل الباطل وقد جاء في ذلك احاديث كثيرة صحيحة والله اعلم

قد تم القسم الاول من « تنبيه الانام » ويليه القسم الثاني واوله دور خير الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم